

CA:  
349.297:Z19fA

الزهرأوى، عبد الحميد .

الفقه والتصوف .

DEC 16 '87 H 394J

CA: 349.297

Z19fA

~~3 FEB 1974~~

~~3 FEB 1974~~

~~3 FEB 1974~~

J. Lib.

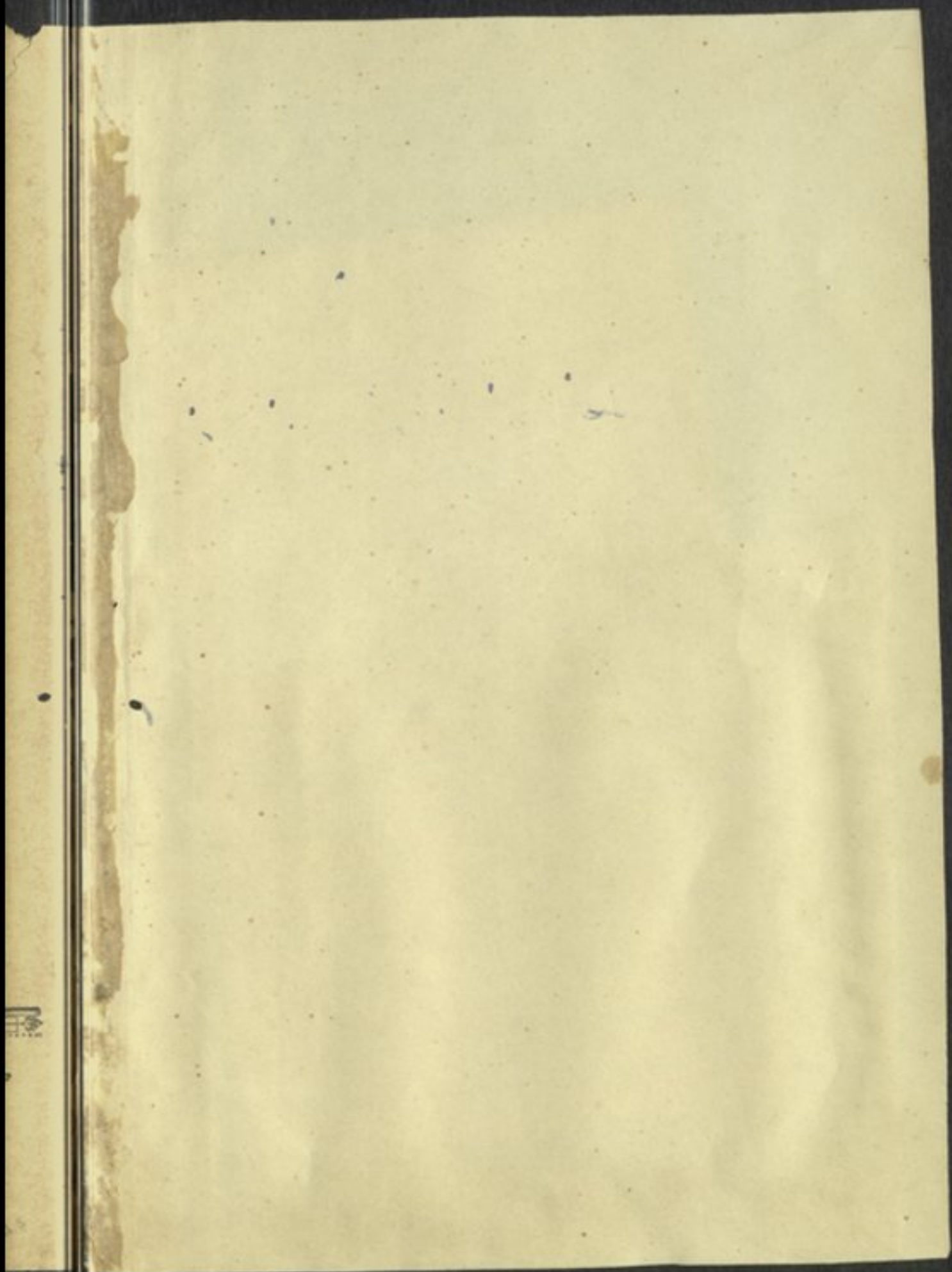
31 OCT 1974

JAFET LIB

16 MAR 1989

~~JAFET LIB.~~

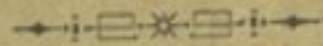
~~- 1 FEB 1985~~



CA  
349.297  
2198A  
c.1

# الفقد والتصوف

وهي ثلاث رسائل

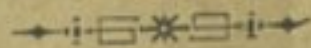


كتبها في حقيقة هذين الفنين وما طرأ عليهما

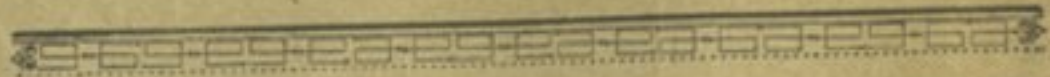
حضرة العالم المصنف

السيد عبد الحميد أفندي الزهراوي

نزىل دمشق الشام جواباً على كلام بعض اصداق له



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٩ هجرية و ١٩٠١ ميلادية

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## لائحة الفقه الاسلامي

### « المقالة الاولى »

برح الحفاء وآن للحقائق ان يتبايع نورها فقد مزقت عزائم  
 المصلحين حجب الاوهام وازالت غشاوة الابصار وللاطوار ادوار  
 وللادوار اسرار فسبحان الظاهر الباطن  
 ان لم يكن في كلماتي هذه براعة استهلال لمقصدي وفاتني منها  
 النصيب الذي يحرص عليه كتابنا القديما ومقلدوهم في محامد خطبهم  
 فان فيها من قوة العزم في المقصد الاجمالي ما يعرب عنه باجمع عبارة  
 وأجل اشارة .

كلامي الآن في « الفقه الاسلامي » حماني عليه سبب شريف  
 ذلك انني كتبت الى صديق لي فاضل مشرف على مطالع انوار

المعارف مكتوباً مطولاً عرضت له فيه خلاصة نبذة من افكاري باننا اخوان سمي في سبيل اصلاح بهم له الشاعرون بالاحوال وينكره الواقفون الذين تتجاذبهم الاهواء ويتجاذبون الادواء . والمكتوب جاء فيه انكار لكثير من العلوم التي يعتبرها المسلمون من العلوم النافعة لهم في دينهم ودنياهم و اعتبرها انا بالعكس بما قام عندي من البرهان فاختر ان يحاورني في قسم من اقسام المكتوب فكتب الى جواباً افاض فيه من منارفة الغزيرة ما تروى به الصمدور . ونشر « المنار » الزاهر هذا الجواب لما احتوى من حقائق العلم وآيات الاشرافى والاشراق . واذ كان لي من الكلام في هذا الموضوع ما لم يسعه مكتوبي الاول ومن الجواب على رده ما يزيد المسألة وضوحاً احييت ان اكتب هذه الرسالة لصدىقي نفع الله الامة بفضله وعلو همته على ان يكتبني ان شاء بمطالعتها او ينشرها في « المنار » ادام الله اشراقه ان شاء صاحبه العلامة <sup>(١)</sup>

### كلامي في الفقه الاسلامي

الفقه الاسلامي يشتمل على قسمي العبادات والمعاملات كما يقولون أما العبادات فليس يخفى على احد انها اعمال خاصة امرنا ان نفعلمها كما كان يفعلها النبي واصحابه الذين تعلموا منه فهل التعاليم مختلفة بقدر ما اختلف هؤلاء الفقهاء ام اراد هؤلاء ان يوهموا الملا

(١) نشرت هذه الرسالة في عدد ١١ و ١٢ من منار السنة الرابعة

بما سمعته صدورهم من المعلوم فتوسعوا بالتفصيلات القولية  
والاصطلاحات المذهبية حتى كتبوا الوفاً من الاوراق عن الصلاة  
مثلاً . ولئن سألتهم ليقولن انها عماد الدين وان الاهتمام بتحرير  
علومها ضروري . قل ان القرآن المجيد الذي فرضها لم يجيء فيه  
بشأنها اكثر من قوله : واقموا الصلوة واركعوا مع الراكعين  
واسجدوا لله . ولم يجيء فيه بشأن الطهارة التي هي من اجلها  
اكثر من الامر بغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس اذا  
اخرج الانسان فضلاته وبالتيهم اذا لم يجد الماء وبالظهور من الجنابة  
وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصلاة للو احد من اصحابه  
في ساعة واحدة لانها اعمال محدودة كالوقوف الى جهة معينة وقراءة  
كلمات سهلة وحفي الظهر ووضع الجبهة على الارض اعمال يتعلمها  
الصبي في ساعة ويا عجبى للذين اختلفوا واستشهد كل منهم بالاقوال :  
• ألم يروا انها حركات بدنية واستحضارات قلبية . شوهدت من  
النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها خمس مرات كل يوم في نحو عشرين  
عاماً ثم شاهدها من اصحابه من لم يشاهدها منه وهلم جراً . ألم  
تكن في مشاهدة الفعل يتكرر آلافاً من المرات غنية عن الاقوال ؟  
• ام اراد بهم ربك اختلافاً فلم يزد الناس بيانهم الا اغماضاً واعضالا .  
• اتل من امثلة اختلافاتهم هذا المثال :

« في فتح القدير (١) ص (١٥٤) » « واول وقت المغرب  
اذا ضربت الشمس وآخر وقتها ما لم يغيب الشفق » وقال الشافعي



رحمه الله . مقدار ما يصلى فيه ثلاث ركعات لان جبريل عليه السلام امّ في اليومين في وقت واحد . ولنا قوله عليه السلام : اول وقت المغرب حين تغرب الشمس و آخر وقتها حين يغيب الشفق . وما رواه كان لتحرز عن الكراهة ثم الشفق هو البياض الذي في الافق بعد الحمرة عند أبي حنيفة رحمه الله وقالوا هو الحمرة وهو رواية عن أبي حنيفة وهو قول الشافعي رحمه الله لقوله عليه السلام : الشفق الحمرة . ولأبي حنيفة قوله عليه السلام : و آخر وقت المغرب اذا اسود الافق . وما رواه موقوف على ابن عمر رضي الله عنهما ذكره مالك رحمه الله في الموطأ وفيه اختلاف الصحابة اه

تراهم اختلفوا في تعيين الشفق ورووا عن أبي حنيفة روايتين متباينتين وانت خير ان هذا التفريق بين البياض والحمرة دقيق جداً اذا كان الجو صافياً ولا يمكن البتة اذا كان داجناً . ثم ما ذا جوابهم اذا سألمهم أهل ارض نجد فيها الغيوم الشمس اكثر من نصف السنة عن اول وقت المغرب الذي عينوه بغروبها وعن آخره الذي عينوه بذلك البياض وتلك الحمرة افيقولون بقدر الوقت تقديراً؟ فكيف بقدر الوقت وبماذا؟ أبعدهد الركعات كما قال الشافعي فكيف معدل الركعات في النهار والليل حتى تقدر اجزاءها بعداد الركعات ومن ذلك الذي يعمل هذا المعدل؟؟

والبيكم هذا أيضاً - يقولون في باب الصوم :

« لا عبرة باختلاف المطالع فيلزم أهل المشرق برؤية أهل  
المغرب وعليه الفتوى » انظر معي في هذا القول الذي اتفقوا عليه  
وأفتوا به الا اصحاب الشافعي فاسأل الذين يقرأونه فيعتبرونه ديناً  
من ذلكم الذي يوصل خبر المغرب الى المشرق في أقل من ليلة حتى  
يلزمهم الصوم بيوم واحد؟ ثم كيف يصوم أهل المغرب مثلاً برؤية  
أهل المشرق وبينهما اختلاف عظيم في الزمان فقد يكون ليل ناس  
نهار آخرين؟

سامحني ايها الصديق بما تصديت له من حال اقوالهم في قسم  
العبادات فقد دعت الى هذه الاشارة ضرورة الكلام على كل ماسمونه  
فقهاً وسامحني أيضاً أن اذكر شيئاً مما كتبوه في المناكحات التي  
عدوها في المعاملات تلك المناكحات التي يتمجب الانسان من الابواب  
التي فتحت فيها كحلف الانسان بأنه يحرم فرج امرأته على فرجه  
اذا كان الامر كذا مما لا علاقة للزوجة به وكأقضاءهم وقضاهم بان  
هذا الفرج المحلوف عليه يحرم اذا حنث الحالف وان لم يكن نعمة  
ارادة الفراق واليكم من عباراتهم في هذا الباب شيئاً من اشياء

ولو قال لها: انت طالق ثلاثة انصاف تطليقتين فهي طالق ثلاثاً  
لان نصف التطليقتين تطليقة فاذا جمع بين ثلاثة انصاف تكون ثلاث  
تطليقات ضرورة ولو قال انت طالق ثلاثة انصاف تطليقة قيل يقع  
تطليقتان لانها طليقة ونصف فيتكامل وقيل يقع ثلاث تطليقات لان  
كل نصف يتكامل في نفسه فتصير ثلاثاً »

هذا واما ما كتبوه في الحقوق وسموا بمجموعه بالمعاملات فلا  
 انكر انهم اجادوا في بعضه بحسب ازمئتهم وامكنتهم وانما الذي انكره  
 هو : (١) انه يكفي لزماننا وبغينا عن غيره (٢) وانهم استفادوا  
 كل ما كتبوه من الدين ولا دخل لعقولهم فيه (٣) وانه لا يفني  
 عنه غيره (٤) وانه لم يكن آله بيد القضاة والمفتين ومن في حكمهم  
 يعبثون فيه كما شاؤا (٥) وانه ليس من المضر تقديسه الذي جعلنا  
 يناهد بعضنا بعضاً من اجله وتقديس المحاكم المنسوبة اليه التي كانت  
 ولا تزال بقاياها ميداناً نتجلى فيه الغرائب  
 هذا كله هو الذي انكره انكاراً مقروناً بالدليل القاطع لمن شاء  
 ان اذكره . وليس بخاف (١) ان ازمئتهم غير زماننا الذي تغيرت  
 فيه التجارة وابوابها وفروعها تغيراً هماً (٢) وان الرسول صلى  
 الله عليه وسلم بتصريحه لمعاذ بن جبل وعلي بن ابي طالب رضي الله  
 عنهما ان يعملوا برأيهما اذا لم يجدوا نصاً كافياً مؤنة السلاسل التي ربطت  
 الناس بها اقوام كتبوا الكتب بايديهم ثم قالوا هذه من عند الله (٣)  
 وان هذه الامم التي ليس عندها هذه الكتب قد اغناها الله بفضل  
 عقولها في تدبير التجارة والبيوع وعقد الشركات وامضاء المعاهدات  
 وادارة المنافع العامة وترتيب العقوبات وجباية الاموال وتنظيم الجيوش  
 واعداد ما يحفظ المجد ويعلي الشأن في السلم والحروب (٤) وان هذه  
 الاقوال المتضاربة المتعارضة ليس لاكثرها من سبب الا منافع القضاة  
 ومن في حكمهم (٥) وان اعتناء كل طائفة بمذهب واحد على ما فيه

من تعدد المرجحين قد فرق كلمة المسلمين منذ زمن بعيد حتى أوصلهم الى هذه الحالة ( وهل منكر لها ؟ ) بمقتضى السنة الالهية . هذا ما قلت زبدته واعدته اليوم مع شيء من التفصيل وأن الاخ حفظه الله ليعلم أن هذا الموضوع لا يوفيه حقه من البيان الا مثات من الاوراق وفي ذكائه وأمعانه وأمعان الاذكياء غنية وكفاية

### كلام صديقي

يحتاج الجواب عن كلام صديقي الى افراد مندرجاته فهو ينحصر في هذه المسائل (١) لا بد لكل امة متمدنة من قانون جامع لجزئيات الحوادث (٢) الاسلام جاء باسمي ما تتطلبه الحاجة المدنية الا ان ماجاء به قواعد كلية (٣) الاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل مع ارجاعها الى تلك القواعد (٤) علماءنا فعلوا ما يجب عليهم من هذا القليل واحاطوا بكثير من الجزئيات التي دعت اليها حاجة كل عصر الا ما فاتهم من تحديد بعض العقوبات وترتيب المحاكمات والتفريق بين الحقوق العمومية والحقوق الشخصية تفريقاً يتعين معه الاختصاص بالدعاوي العمومية التي كان القضاة فيها خصماً وحكماً في آن واحد (٥) علماءنا برعوا في علم الحقوق الى حد جعل هذا العلم عند المسلمين يكاد لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الجزئيات الا احصاها الا انه مشوش بكثرة ما اختلفوا فيه حتى في المسألة الواحدة (٦) سبب هذا الاختلاف افراد الآحاد بالتشريع (أي التفريع) بحيث يجوز الواحد منهم ما يمنعه الآخر وبالعكس (٧) سبب هذا

الافراد التساهل من المسلمين في ترك سلطة التشريع فوضى  
 يتناولها من شاء ومن ليس بمعصوم من الافراد وذلك لم تفعله أمة  
 متمدنة من قبل (٨) لو فهم المسلمون منذ استفحل أمرهم واشتدت  
 للقوانين الجامعة حاجتهم معنى ما يسمى عند عنماهم الاجماع لاستفادوا  
 منه الى الآن فوائد كثيرة ولما تركوا أمر القوانين فوضى لا يعتمد  
 فيه الا على قال فلان وأفتى بخلافه فلان ولكانوا عهدوا بتفريع  
 الاحكام واستنباطها الى جماعات من أهل الفضل والاجتهاد بنو بون  
 عنهم عند ميسر الحاجة في تطبيق الاحكام على الحوادث في كل زمان  
 ومكان (٩) لما لم يفهوا هذه القاعده واغفلوا العناية والنظر بامر  
 القوانين كان وضع الاثمة والعلماء لعلم الفروع الذي قلت عنه انه  
 مجموع قوانين لازماً (١٠) تسليم سلطة التشريع لجمع لا لآحاد  
 ليس فيه من حرج أو مانع يمنع من الدين والذي سوغ للفرد ان  
 يضع أو يستنبط ماشاء من الاحكام التي تمس اليها الحاجة يسوغ للجمع  
 كذلك وهو الاحوط أيضاً في الدين والدنيا (١١) اعترف بحفظه  
 الله بان هذا الخلاف الذي شوش نظام المعاملات بين الامة يكاد  
 يجعل علم الفروع في المرتبة التي ذكرت (١٢) وانكر قولي انه ليس  
 من علوم الدين وانما هو مجموع قوانين وضعتها المتقدمون قال بل رأيي  
 انه من علوم الدين باعتبار انه مستند الى اصول عامة في الدين وانه  
 قانون باعتبار انه داخل تحت حكم الرأي والقياس والاجتهاد أو هو  
 نتيجة تطبيق الاحكام على حوادث حدثت بعد للمسلمين وروعت

في وضعها اصول الدين (١٣) مسوغ الاجتهاد ميسر لكل عالم من علماء الشريعة بلغ مرتبة الكفاءة غير محظور عليهم في عصر من العصور (١٤) العلماء بين امرين اما أن يعتبروا ان كل ما حرره الاثمة وقرروه هو من الدين فيلزمهم في هذه الحال التسليم بما حرره جميعهم من الاحكام ويلزم من هذا جواز انتقاء الاحكام الموافقة لحالة العصر من كتب المذاهب وتدوينها في كتاب خاص ليس فيه ادنى شائبة من منارات الخلاف أشبه بقانون عام شامل لسائر حاجات الاجتماع يعمل به المسلمون على اختلاف مذاهبهم وأما أن لا يعتبروا ما حرره الاثمة من الدين بل يعتبرونه رأياً أداهم اليه الاجتهاد وان هذا هو علة اختلافهم في الاحكام منعاً وإيجاباً بحيث يجوز الواحد ما يمنعه الآخر وفي هذه الحال يجوز لهم الاجتهاد كما جاز لغيرهم فيتفق جميعهم على جمل علم الفروع علماً نافعاً في هذا العصر مراعى فيه جانب الحاجة مضافاً اليه ما فات المتقدمين من التوسع في مناحي أخرى اصبح التوسع فيها الآن من ضروريات الحياة الاجتماعية .

- جوابي -

الذي يراني متصدياً للجواب يظن انني اقصد رداً على صديق الفاضل وليس كذلك بل ليس في مقدماته ما يرد غير ان النتيجة الحسنة التي أشار اليها لا تحصل عليها وعلم الفروع الحاضر هذا حاله من التشويش الذي اعترف به وهذا حال كل فريق منا من تقديس

ما ينتسب اليه واعتبار كل ما جاء تحت اسمه من عند الله عز وجل  
على ان الجواب على الافراد يزيد المسألة وضوحاً وان لم يقصد به  
ردّ وهذا هو .

ج ( ١ - ٢ - ٣ ) ما جاء في هذه الارقام مسلم ما انكرته ولا  
انكره . أما كون كل أمة متمدنة لا بد لها من قانون جامع لجزئيات  
الحوادث فيكاد أن يكون من العلوم الضرورية بل الامم البدوية ايضاً  
لا تستغني عن قانون يجمع لها جزئيات الحوادث بحسب حاجتها .  
وانا لتعلم بالاحتبار ان هؤلاء الاصحاب الضاربين في مهامه الشام  
والعراق لهم قضاة يدعون واحدهم بالعارفة يقضي بينهم باحكام  
يتداولونها ويسمون معلوماتهم في الاقضية بشرع العرب ولم يقتهم  
النصيب من عقوبتهم وذواكرهم لما اعدوا النصيب من الكتابة  
والتدوين . وجزئيات الحوادث في كل أمة تكون بحسبها من المعيشة  
والعادة والعقيدة . ومهما كانت الامم من الجاهلية لا تلبث متى رمت  
بالقدم الاولى في ميدان المدنية أن تصطلح على قانون يوحداهم مثل لهذا  
بأمة الرومان ثم اصول الامم الاوربية الموجودة ثم مثل بالعرب بعد  
ان كثرت فتوحاتهم واشتدت لوسائل العمران حاجتهم ودخل في  
حوزتهم امم شتى كانوا ذوي صناعات وزراعات وتجارات ولهم قوانين  
قديمة وعادات راسخة وبالجملة أن التشريع في الامم ضروري ولكن  
الناس يتفاضلون فيه فمنه الصالح والاصح وضدهما  
وأما كون الاسلام جاء باسمي ما تتطلبه الحاجة المدنية

فهو من اجزاء معتقدنا ومتممات ايماننا . ما جاء به الاسلام قواعد كلية والاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل مع ارجاعها الى تلك القواعد والاختلافات انما نشأت من الافهام وهي اختلافات عظيمة فاذا فرضنا مائة قول في مسألة ما ( وهو فرض له محقق ) فالصيب منها واحد والمخطي ٩٩ حرموا من العقائد الكلية التي يرجع اليها كل واحد بما قال كما حرم أصحاب المذاهب في العقائد الاسلامية من القواعد التي هي اصول . ثم هل نستطيع ان نبرهن امام مناظر اجنبي على أن العقل الانساني السليم لا يمكن أن يحيط خبراً بتلك القواعد المعدودة الا أن يسمعهما ؟

ج ( ٤ - ٥ ) مما تقدم يعلم الجواب عما جاء في ٤ - ٥ فانا قبلنا أن التشريع ضروري للامم وكل امة قد خلت لها حديث في الآخريين يتلونه مستبصرين وعلماءؤنا الذين اشار اليهم انما هم كالذين خلوا فلئن قلنا انهم سدوا حاجة زمانهم فامنحن بملومين اذا قلنا ان ما نقدسه اليوم هي مجموع كتاباتهم التي اقتضتها عصورهم وطابقت عقول معاصريهم من الحكومات والرعايا كيف كان الحال . اما كونهم برعوا بذكر الجزئيات فلا تخاذ الكثيرين هذه الصناعة ديدناً في كل عصر ومصر ووقع مثل هذا لكل امة متحضرة . وان أدري هل اغنهم براعتهم تلك عن ذلك الاختلاف المشوش ام كان نصيبهم منها نصيب من كان قبلهم ممن اوتوا الجبدل وحرموا العمل نصيب اولئك الذين كانوا يتجادلون بالمذهب في القسطنطينية والقابض



على اسوارها :

ج ( ٦ - ٧ - ٨ ) قال حفظه الله ان سبب هذا الاختلاف  
 افراد الآحاد بالتشريع وسبب هذا الانفراد تساهل المسلمين في  
 ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء وأقول : ان القوم  
 يزعمون ان كل ما كتبوه هو من عند الله يجب التسليم به والاعتماد  
 عليه وان هؤلاء الكتاب لم يحدثوا شيئاً من عند انفسهم والمسلمون الذين  
 عزى اليهم التساهل لم يكن لهم شيء من الامر في العلم حتى يكون  
 لهم صوت في التشريع . وهاءنذا اذكر للصديق اعزه الله سبب  
 ذلك الانفراد أو سبب تساهل المسلمين

المسلمون ليسوا شعباً واحداً وليسوا على سنن واحد في النحلة  
 والعادات . المسلمون بما تحيزوا للدول صاروا شيعاً في الآراء السياسية  
 ثم بما تحيزوا للرؤساء في الدين صاروا شيعاً في الآراء العلمية  
 والمذاهب الدينية . ثم بما تحيزوا للجنس صاروا شيعاً في المشارب  
 والمعاش .

لم يمض الثبات من القرن الاول على المسلمين حتى كفر بعضهم  
 بعضاً فتحاربوا وتحاربوا وتحاذلوا الى ان انقسموا الى ثلاث فتنان  
 نشايح كل منهما رئيساً كبيراً واخرى خارجة عن دائرتيها ناقمة  
 عليهما حالهما ولم يمض الثلث الثاني حتى انقلبت دعوتهم الى الدين  
 وتهذيب النفوس دعوة الى الملك والاستئثار وتوسيع ابهة الملك وجعله  
 منحصرأ في اسرة يحدث افرادها ما شاؤا ان يحدثوا ولم يمض الثلث

الثالث حتى تكاملت اصول الشيع وتلاحقت فروعها واينعت ثمراتها  
واحدث في الدين من احدث واخترع من اخترع فاختلفوا في القراءات  
فعمدت اشكالها وتعارضوا في الروايات فتناقضت احكامها وتباينوا  
بالفهم من النصوص فضاعت ثمراتها وتجادلوا في الفهوم فذهبت  
غاياتها . عقائد متباينة وعبادات مختلفة واقضية مضطربة وضمار متباغضة  
فاين الاجماع ؟

أي أخي ! أفليس هذا هو امرنا في ذلك القرن الاول الذي  
عليه مدار نخرنا واليه يرد أصل مجدنا وفيه اتسع ساطان حكمنا واعلا  
منار ديننا . دع عنك زمن الخائفتين وقل لي متى كان الاجماع وكيف  
يجمع قوم حالهم ما ذكرناه آنفاً وأي المسلمين مطالبون أن يفهموا  
معنى ذلك الاجماع . عرابهم الضاربون في بطون الاودية وظهور الجبال  
ام امصارهم المؤلفه من ابناء الروم والفرس والقبط وقليل من ابناء الاجناد ؟  
من المطالب منهم بالتشريع : اولاد امورهم وهم من علمت بين لاه  
فرح بالنعمة الجديدة التي ورثوها وبين نشيط حازم مشغل بتسكين  
تلك الفتن المعهودة أم الرواة الذين لم يكن اكثرهم يعلم اكثر من  
النقل والحكاية ؟

هذا ما ترك امر التشريع فوضى فبدأوا في ابتداء القرن الثاني  
يكتب كل واحد ما التقى اليه استاذه وكثرت فنون الاختلاف وضروب  
التعارض واستعملت التقية فجاءت المذاهب على كثرتها وتعارضها  
مضاهية لاديان مختلفة حتى النى اكثرها الزمان الذي جاء فيه حكومات

أخذت بما دونه قوم واصررت عن الآخرين . فالحكومات هي بالفعل حصرت الميادين واغلقت الابواب والمتمذهبون اتبعوا فعل الحكومات بالقول بان باب الاجتهاد مسدود . على انهم نزعوا الى نقب السدود التي اقيمت فاستعملوا معاول الاصطلاحات والفرض والتقدير كفرضهم اذا ترس قوم بنبي ( مع اعتقادهم واعتقادنا ان لا نبي بعد محمد عليه السلام ) فنقلوا بالمذهب الواحد روايات متعددة عن ائمة في المسألة الواحدة حتى اعادوا المذهب الواحد مذاهب فواصلوها الينا كما هي امام عين الناقد البصير

هذا هو الحال اجمالاً وكل مطالع في تاريخ الاسلام يعلم ان كل طائفة من بلادهم شاع فيها المذهب الذي هو بيته نفوس حكامهم الاول . فهل يرجي بعد محكم تلك المذاهب في كل ناحية ائت الناس عنها ؟ وان كان لا يرجي فهل يقال ان بقاء هذا الحال غير محل بالفائدة ومضر ؟

ج (٩) يعلم الجواب عما جاء في ( ٩ ) من الجواب على ٤ وه  
ج (١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤) اوافق في كل ما جاء في هذه الارقام صديقي الفاضل واصل صوتي الى صوته ولكن هل يساعد علم الفروع المسدون الحاضر على القول بهذه الاقوال وان لم يساعد فن الخطاب ان يقوم للمسلمين بهذه الخدمة الجليلة والى متى تقول بلا عمل ؟ ها نحن اولاء بهذه المناسبة نقترح على المنار الانوار ان يفتح باباً لهذا الموضوع الجليل يقبل فيه اللوائح التي ترد اليه

في كل باب من ابواب الفروع بعد عرضها على جمعية علمية نستعقد في القاهرة لهذه الغاية بهمة الاساتذة ومتى انعقدت هذه الجمعية التي يكون لتصديقها على الاوائح المنشورة وقع في قلوب الامة لانه شبيه بالاجماع يكثر بيننا النبهاء الذين بوجهون انظارهم نحو هذه الغاية وبعد فقد طالت الرسالة ووجب الاكتفاء والله المسؤول ان يلهم المسلمين الصواب ويحرك منهم دواعي الجهد في حفظ بقايا المجد

## الحقيقة والفقہ الاسلامي

### « المقالة الثانية »

هذان مطلبان الاول منهما تمهيد للثاني وهو جواب لكلمة اخ كريم والثاني تقوية لمتن ما نذهب اليه بشأن الفقه ان الذين قرأوا « المنار » الزاهر يعلمون اني نشرت هناك حقيقة مهمة كانت قد طوتها يد السيطرة قروناً من الدهر تلك هي حقيقة الفقه الاسلامي بما كان عليه وما آل اليه . واليوم قد جاءني كتاب كريم يقول فيه الاخ « مقالة الفقه الاسلامي راقية ناساً من الافاضل وعلى كل فالامل معقودة نواصيه ان تخفف الوطأة بعدها ولا تفرط في الحمله على كسر كل القيود مخافة ان نصبح بلا قيد . هذا كلامه وهي وصية حكيم متبصر بالمقدمات والنتائج ولسكن رأيت ان

اعرض لنظرة كل المقدمات والنتائج في هذا الباب ليتبصر بها تانياً  
وقد جرت اجابته العودة الى الموضوع الاول فتألفت منهما هذه الرسالة :

( من ع - ز ( في دمشق ) الى م . ك ( في مصر ) )

في ساعة كنت آتمنى فيها الشراح الحاطر وانجلاء الناظر اتم الله بغيثي  
برود كتابك الكريم ( المؤرخ في ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣١٩ فصاحته  
بدمصاحفكم مترقبة . وطالعه عين لقراءة السكال في مظهركم مستشرفة  
ووعته مدركة بصور فضائلكم متزينة فخدمت واهب النعم على  
سلامتك وبشرت بها عصابة الفضل جمهور الاخوان .

ورد كتابك عن البلاد التي دالت لها المحاسن اليوم حيث العلم مفتحة  
ابوابه مكرمة اربابه . تلك البلاد التي حشرت اليها الرجال فانسع لهم  
صدرها فجزوها بما رحبت لهم تنويراً . وهذا كتابي اليك من البلاد  
التي تعلمها ولا ازيدك حيث العلم مسدودة سبله . معذب أهله . هذه  
البلاد التي رخصت فيها اعمال الرجال فلم يرقهم سوقها فجزوها بما  
بخستهم نفوراً وتنفيراً .

هذا لكي لا تنسى نصيبنا مع نصيبك من ثمرات ما هنالك ولتذكر  
انك تركتنا ونحن اشوق اليك هنا منك الينا ثمة . فلقد تركتنا قليلين  
وكتابك وبالرفيق من قبل كثيرين .

قلت لي في كتابك ان مقالة الفقه الاسلامي راقت ناساً من الافاضل  
وذكرت لي رغبتك بان لا أفرط في الحملة على كسر كل القيود مخافة  
ان نصبح بلا قيد ولا لاجابه عنه الفت هذا الكلام تحت عنوان « الحقيقة »

فاقرأه موقفاً يا عزيزي .

### الحقيقة

من الناس مغرمون بالصدق وقول الحق حتى لو ان احدهم فعل  
 فعلة في ليل دامس بحيث امن ان براه راء او يدل عليه دال ثم اضطره  
 بالاتفاق مستنطق للاجابة بانبات أو نفي لما كان له في خلقه ذلك من  
 سبيل الى نفي الواقع حذر الوقوع في الكذب الصراح . وربما حمله  
 الشغف بالصدق ان بقول الحق ويقع في واقعة ليس لها كاشفة بعداً  
 عن الكذب الذي يعده اشأم شيء . وقليل هؤلاء والاكثر هم  
 الذين يحبون الكذب بموهون الباطل ويثبتون المعدوم ويكبرون الصغير  
 ويصغرون الكبير وقد يكون شيء فتسأل الواحد عنه فتراه يضم اليه  
 اشياء او تكون اشياء فتسأله فيجعلها كأن لم تكن شيئاً موجوداً

والصدق حسن في ذاته لانه من التناسب المحبوب وحسن لانه  
 نافع والكذب الذي هو ضده قبيح في ذاته وقبيح لانه ضار ولكن  
 قد تحدث أمور يكون الصدق فيها ضاراً للقائل نفسه أو لغيره فهناك  
 تبيح الضرورة الكذب . قرر هذا العلماء كافة والشارعون عامة  
 فاتباع الحكمة والنظر للعاقبة وتطبيق المقال علي مقتضى النتيجة  
 من الضرر هو الحد الوسط بين مذهب القليلين الذين هم مغرمون  
 بالصدق غراماً لا ينظر معه الى العواقب وبين مذهب الاكثرين  
 الذين يحبون الكذب ويألفونه الى أن يصيروا ينطقون به من غير  
 شعور .

هذا الكلام منطبق على حالة القصد والتعمد وما من خلاف فيه  
 الا في تعيين القدر في الوسطية . وقد يكون الكذب تقليداً اما عن  
 حسن ظن بصدق الراوي واما عن ضعف ادراك وفقدان تمييز بين الجائز  
 ان يكون وغير الجائز . وهذا النوع من حسن الظن وضعف الادراك  
 وفقدان التمييز لا تؤخذ الصادر عنهم شيء منه ولا نسميهم كذابين  
 لانهم لم يتعمدوا الاختلاق وليكننا لانك في أن ضرره اعظم ضرر  
 ولا نكع أن نسميه سقوطاً وخطأ . وحسن الظن قد يرحى لصاحبه  
 علاج اذا كان يعقل البراهين واما ضعف الادراك فهيات هيات كم تنفذ  
 في أهله الخيل ويبطل العمل ويحيب الامل .

اما تعمد الكذب لجر منفعة صالحة للناس فالأكثر على منعه  
 وجوزه بعضهم واخترعوا فيه كثيراً من ما تور الكلام ففهم من رأى  
 اموراً لا يجتنبها الصبيان ومن في حكمهم من النساء والرجال الا باختراع  
 المهربات فوضع لهم مثلاً ان كذا وكذا وكذا تورث النسيان او تقصر  
 الآجال او تذهب الاموال او توجب الاسقام مما لا علاقة فيها  
 بين بعضها .

وقد رأيناهم يعللون كثيراً من الاحكام بما مآله التويه على  
 على الخواص والعوام كاحتجاج بعضهم لوضع الستور على قبور الصالحين  
 بان ذلك جائز بل لازم لاجل أن يعظمهم الناس وليت شعري هل  
 يترتب على تعظيم الناس لهم فائدة في الدين أو في الدنيا .  
 دع عنك هذا فربما عده الأكثرون هيناً وانظر الي المصيبة

العظمى التي ابتليت بها هذه الامة وهي تعمد الكذب على رسولها  
الاكرم صلى الله عليه وسلم لاجل الترغيب والترهيب فان هذا مذهب  
قد اختاره بعض المتتمين الى الصلاح ووضعوا فيه ما شاءوا ان يضعوا .  
خل الذي وضعه الزنادقة والمنافقون والمتعصبون لمذهب من المذاهب  
وانا انقل لك في هذا المقام كلام العلماء لكي لا تخال كلامي جزافاً

قال العيني شارح البخاري ( ١ - ٥٥١ )

السادس مما يتعلق بهذا الباب بيان اصناف الواصفين الاول قوم  
زنادقة كالمغيرة بن سعيد الكوفي ومحمد بن سعيد المصلوب ارادوا  
ايقاع الشك في قلوب الناس فرووا انا خاتم النبيين لا نبي بعدي الا  
ان يشاء الله .

الثاني قوم متعصبون منهم من تعصب لعلي بن ابي طالب رضي  
الله عنه فوضعوا فيه احاديث وقوم تعصبوا لمعاوية ورووا له اشياء .  
وقوم تعصبوا لابن حنيفة رضي الله عنه وقال ابن حبان وضع الحسن  
ابن علي بن زكريا العدوي الرازي حديث « النظر الى وجه علي  
عبادة » وحدث عن الثقات لعنه بما يزيد على الف حديث سوى  
المقلوبات وقال الخطيب في الكفاية بسنده الى المهدي قال اقرعندي  
رجل من الزنادقة انه وضع اربعمئة حديث فهي تجول بين الناس .  
وقوم وضعوا احاديث في الترغيب والترهيب وعن ابن الصلاح قال  
رويت عن ابي عصمة نوح بن ابي مرجم انه قيل له من اين لك  
عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة فقال اني



رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي  
 ابن اسحق فوضعت هذا الحديث . وقال « نوح هذا ليس بشيء  
 لا يكتب حديثه » وقال مسلم وابو حاتم والدارقطني متروك .  
 السابع يعرف الموضوع باقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة اقراره  
 او قرينة في حال الراوي أو المروي أو ركافة لفظه او لروايته  
 عن لم يدركه ولا يخفى ذلك على أهل هذا الشأن . وقيل لعبدالله  
 ابن المبارك « هذه الاحاديث الموضوعية ( كأنه يقول ما الحيلة فيها )  
 فقال يعيش لها الجهاذة ( كأنه يقول يعرفها وينقدها الجهاذة ) »  
 واما جهات الوضع فربما يكون من كلام نفسه او يأخذ كلاماً  
 من مقالات بعض الحكماء او كلام بعض الصحابة فيرفعه كما روى  
 عن احمد بن اسماعيل السهمي عن مالك عن وهب بن كيسان عن  
 جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة  
 الكتاب فهي خداج الا الامام » وهو في الموطأ عن وهب عن جابر  
 من قوله وربما أخذوا كلاماً للتابعين فزادوا فيه رجلاً فرفعوه .  
 فتأمل أيها الاخ ملياً وقدر في نظرك مقدار هذه البلية التي  
 اصابت الأمة ولا تصدق ان الكلام يمكن ان يفرق بين بعضه متى كان  
 معرباً منمقاً ولا تنظر للذين قالوا اننا نشم رائحة كلام النبوة وان  
 كانت أنوفهم كانوا الهرة ولقد رأف بنا الرسول صلى الله عليه وسلم  
 حين علم اننا سنحدث عنه بعده فإوصانا ان نعرض ما نحدثه عنه  
 على القرآن . ولا تظن ان هنالك كتاباً مما يقص عن النبي خالي

من الكذب والوضع لان المؤلف مهما تحرى يلتبس عليه الصادق  
 بالكاذب لان ظاهر الصلاح كم يغر ويغش . ولقد سئل يحيى بن سعيد  
 عن مالك بن دينار ومحمد بن واسع وحسان بن أبي سنان فقال  
 « ما رأيت الصالحين في شيء ا كذب منهم في الحديث لانهم يكتبون  
 عن كل من يلقون لا تميز لهم . وروى الخطيب بسنده عن ربيعة  
 قال من اخواننا من نرجو بركة دعائه ولو شهد عندنا بشهادة  
 ما قبلناها . وقال مالك ادركت سبعين عند هذه الاساطين وأشار  
 الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون قال رسول الله  
 عليه الصلاة والسلام فما اخذت عنهم شيئاً وان احدهم ليؤمن على  
 بيت المال لانهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن وزدحم على باب محمد  
 محمد بن مسلم الزهري »

ومن هؤلاء من يضع قصصاً الاجواد والبخلاء . والشجعان  
 والجيئاء والاعلام والجهلاء . والعاذلين والظالمين ليمدح وبذم .  
 ويقرظ ويثلب . ويشوق وينفر . ويبارك ويلعن . وقولنا هذا  
 لا ينبغي ان تكون بعض القصص واقعة ولا ينبغي ان تكون النية سالحة  
 في وضعه ولكن الوضع ان نفع قليلا يضر كثيراً لانه غالباً غير مستند  
 الى مقدار فيسجل تصديقه والاعتماد عليه بضعف الادراك وقلة التمييز  
 وتشوش الحقائق .

ولم يكن من داع لذكر هذا الا ما تعلم يا أخي من ولوع الناس  
 بالقديم ونسبة البركة والتقدیس الى الاقدم فالاقدم . هذه هي المسألة

التي اضلت الامة وأزلتها عن معارج الارتقاء . ولولا هذه المسألة لما كان علينا من سبيل اذا قلنا الحق في شيء يظهر فيه كذب بعض وخطأ بعض من الذين خلوا من قبلنا .

أما وقد فعلوا بعقولهم ما فعلوا من تقييدها واسقامها فقد اصبحوا لا يرضون عنا الا ان نعمل بعقولنا كفعالهم أو اشد واصبحنا نحن بين ثلاثا ما شهادة ان لا عقول الا عقول الاقدمين ولا فضل الا فضلهم واما السكوت امام الذين يقولون ونحن صاغرون واما الجدل وقول الحق في ما نعلم .

هذه الثالثة هي التي يصعب الاقدام عليها والاحجام عنها لان الاقدام عليها يصوب على صاحبه سهام الملام وربما لامك أيها الانسان اعز صديق لديك وافضل محب لك ومحبوب عندك وهذا هو الذي تخضع اليه النفس دون لوم البعداء ولو زلزلوا الجوب برعودهم . وأما الاحجام عنها فهما راودنا النفس ان تجنح اليه نرى حب الحقيقة يجمع بها عن الاصغاء . اما نحن بمعدورين .

كيف ونحن نرى بلاداً ازهرت فيها العلوم فاثمرت لاهلها انتشار العدل . وشيوع الامن . وتيسر الاسباب . وبلاداً اقفرت من العلوم فكثرت فيها الظلم . وشاع فيها الخوف . وتقطعت فيها الاسباب . فتتمنى ( والانسان بالطبع محب لنفسه ولجنسه وبلاده ) ان يكون لهذه البلاد نصيب مما لتلك فترى كلما رام احد ان يأخذ عن أولئك شيئاً من العلوم نافعاً سخر الملام من قومنا بمقله وعلمه بل قالوا كافر أو مفتون

واذا اردنا ان يعطوه شيئاً من علومهم قالوا له باديء بدء اعلم وتعلم  
 ان المياه التي يجوز التطهير بها سبعة مياه ثم عدوها ماء السماء وماء  
 البحر وماء النهر وماء العين وماء البر وما ذاب من الثلج والبرد  
 واشغلوه أياماً بتفقيه الفاظها ومعانيها واحكامها وانما هي ماء واحد .  
 وها نحن نرى اليوم نزاعاً بالفعل قائماً في القلوب والالسنه والاوراق  
 بين فئتين ممن تمني اليهم فقه تهاجم في سبيل الاصلاح وأخرى  
 مدافعة عن أشياء كثير منها مفترى اما لتقديس الفاظها واما للتمسك  
 بما لها غير حاسين للنتيجة حساباً . فاذا من الرأي لامري ابتلى  
 في مجتمع هذا حاله . أينحاز الى زاوية بيته وهي خلة لا يبيحها علم  
 الاجتماع خل عنك انها لا تيسر أم يتصامم عن دعاوي الفئتين ويرمي بعقله  
 بين أقدم الفريقين وحاشا لامري أوتي ذرة من فهم الحكم في  
 الوجود أن يسمح باهمال استعداد لم يمنحه الله للعبد سدي . ولم يكن  
 الله ايرضى عن عبد يرى الحق ويستطيع أن ينصره فلا ينصره .  
 ويرى الكذب ويستطيع ان يخذله فلا يخذله . قال في كتابه المجيد  
 « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد  
 فتنا الذين من قبلهم فليمنن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . »  
 و نرى أيضاً ناساً يمدحون هذه المحاكم المسماة بالشرعية وهي  
 محاكم نعرفها حق اليقين فما علمناها الا ميدان حيل . وحلبة تلفيق  
 وسوق تزوير . فيها يجوز بيع البلد بما فيه بفلس واحد قد جعلوا  
 هذه القاعدة تأسيساً لاضاعة كثير من الحقوق ونحيلة على الربا .

وفيها  
 فيما لا  
 ذلك  
 السر  
 لجدير  
 ومالك  
 يوجب  
 طول  
 اليه  
 مبار  
 تذ  
 وانه  
 على  
 كلام  
 وقو  
 أرباب

وفيهما تطلق ازواج مطهرة لا ذنب لهن الا ان يعولن اقساموا بفر وجهن  
 فيما لا دخل لهن فيه . بل لا ذنب لبعولن اذ اقساموا الاتقييد القوم  
 ذلك في كتبهم والناس بما كثر فيهم من الكذب مبالون الى اقناع  
 السرار باغلظ الايمان . وان كلمة توجب فراق حبيبة أم بنين وبنات  
 لجديرة أن تعتبر أغلظ ايمانهم وتشيع في كلام البر والفاجر منهم  
 وبمد فما لنا لا نرى هذه الايمان الفاجرة عند غيرنا من الامم  
 وما لنا لا نراهم يوجبون الزواج على من قال على النكاح أو الحلال كما  
 يوجبون الطلاق على من قال على الطلاق أو الحرام .  
 كل هذا نراه ونسمعه وعلمك أوسع من أن يحتاج الى بيانه وما  
 طولت المقال فيه على انه حرف من كتاب الا ليسمعه غيرك ونصني  
 اليه أفئدة وتطمئن به قلوب .

أما أنت فتخشى أن يتعدى كلامي الى غيره مما نعتبره جميعاً  
 مباركاً وهو الذي أشرت اليه بقولك « فنصبح بلا قيد » ولكن اذا  
 تذكرت ان الذي تغار عليه قوي وان القوي يبقى ولا يؤثر فيه شيء  
 وانه لاخير فيما تقوم عليه الحججة وتزحزحه عن مواضعه وللأسف  
 على ما يطير بنفخة روح الحق . ترى يومئذ انه لا بأس عليه من  
 كلامي هذا وكلام كل المتكلمين .

على ان الذي تغار عليه هو الذي ضرر في نفوسنا حب الحقائق  
 وقوى عزائمنا على قول الحق . وهو الذي نهانا أن نتخذ المشهورين  
 أرباباً بمعنى أن نسلم لهم كل ما يشرعون مما لم ينزل به الله سلطاناً .

وهو الذي عرفنا قيمة العقل . وهدانا الى نقد النقل . وهو الذي  
 حذرنا من التمويه والموهين . وقص علينا النفاق والمنافقين . وبين  
 لنا الذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا حكم الله . ألا ان  
 الله بريء ممن لا يصاحون .

ولعلي أوضحت بما قدمت ان لاضرورة ندعونا الى اخفاء وجه  
 الحقيقة في الفقه الاسلامي . وقد ذكرني كتاب الاخ حفظه الله ان أعود  
 الى الموضوع فاقطع مما يتعلق به طرفاً أهديه له لعله يرضاه ويرضى  
 عنه الفضلاء الذين يحبون الحق وبه يأمرون

### الفقه الاسلامي

اليوم تفصل في هذه الرسالة أربعة من المباحث (١) تسمية  
 هذا العلم بالفقه (٢) والكلام في ما يسمونه أصول الفقه (٣) وفي  
 ما يسمونه الفروع (٤) ونبذة في الاجتهاد . وقد أبدت كلامي بشيء  
 من النقل . واخترت أن أوجز وأختصر لكلا يعطون المقال جداً

### التسمية بالفقه

قال بعض الاذكياء ان المناقشة في الالفاظ ليس من شأن المحصلين  
 وهو كلام ظاهره وجيه وقد كنا نود أن نتبعه على ظاهره لولا ما نعلم  
 من أن شغف القوم بالالفاظ قد أدخل فيهم وسواساً عجيباً حتى  
 أصبحوا لا يجوزون اطلاق لفظ مشارك في الدلالة للفظ به يتمسكون  
 ولا يسمعون باطلاق الالفاظ التي يتداولونها على معان مشاركة للمعاني

التي يقصدونها فلمعالجة من هذا الوسواس رأيت أن أتكام على هذا اللفظ الذي استحلوه اسماً لعلمهم .

الفقه كما هو معلوم لفظ مرادف للفهم وكل علم من علوم الدين والدنيا محتاج صاحبه الى الفهم ولو سمينا علماً من العلوم بالفهم لحسن أن نسميه أيضاً بالادراك والتعقل وفي هذا من البعد ما لا يخفى فلو لا ان الاصطلاح لا يناقش فيه في الغالب لا احتاروا اذا سألهم السائل عن وجه التسمية .

والذي حمل القوم على اختيار هذا اللفظ وروده في قوله تعالى « فلو لا نفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » ووروده في قول الرسول صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . على ان المتأمل يرى ان الدين ليس عبارة عما ذكره من المسائل فقط بل ليس المراد به في الآية والحديث ما ظنوه . بل المراد امور هي أعلى من معرفة غسل السيليين ومسح الخفين وأمثال هاتين .

والغزالي من قبلنا قد ناقشهم الحساب على هذه التسمية فقال في بيان ما بدل من الفاظ العلوم :

اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ «الفقه» «والعلم» «التوحيد» «والتذكير» «والحكمة» فهذه اسام محمودة

والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقات الآن الى معان  
 مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع  
 اطلاق هذه الاسامي عليهم ( اللفظ الاول الفقه ) فقد تصرفوا  
 فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع  
 الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق علمها واستكثار الكلام  
 فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقاً فيها واكثر اشتغالا  
 بها يقال هو الافقه . ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقاً  
 على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات  
 الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة  
 واستيلاء الخوف على القلب وبذلك عليه قوله عز وجل ليتفقهوا  
 في الدين ولينبذوا قومهم اذا رجعوا اليهم . وما يحصل به الانذار  
 والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان  
 والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على  
 الدوام يقسي القلب وينزع الحشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له  
 وقال تعالى « لهم قلوب لا يفقهون بها » وأراد به معاني الايمان دون  
 الفتاوى .

وقد سرد رحمه الله امثلة كثيرة من هذا القبيل الى ان قال :  
 ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوى في الاحكام الظاهرة  
 ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبعا فكان اطلاقهم  
 له على علم الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تليدس بعث الناس



على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلوب .  
 هذا كلام امام عظيم يجله المسلمون على اختلاف مذاهبهم وهو  
 وهو حجة كما ترى دامغة . وآية بينة . وبرهان ساطع . فان كان  
 السامع لا يرضيه كلامي لاني جئت متأخراً فهذا كلام امام كبير قد  
 جاء متقدماً ( ٥٠٥ )

هذا الكلام ينبئك ان لفظ الفقه انتحله هؤلاء العلماء من بعد اطلاقه  
 على علم احوال القلوب والآخرة لما فيه من شرف سابق في نظر الخاصة  
 والعامّة . وههنا استعجب منهم اذا اردت ان تطلق على علمهم اسم  
 « نظام » فانك لا تجدهم الا منكرين أشد الانكار

ولا اشك بان معاصرينا من متحلي هذا الفقه قد غاروا وغضبوا  
 من ذلك العالم المسيحي الذي سمي القانون الروماني بالفقه الروماني  
 لاجل المشاكلة مع الفقه الاسلامي في مقالة له كما يغارون ويغضبون من  
 قولي عنه « العالم » فاني قد علمتهم بأنفون من تسمية غير فقهم من  
 الشرائع بالفقه وان لم يكن في هذا اللفظ مزية ظاهرة كما يسخطون  
 ان يتعلم علمهم واحد من امة اخرى وان يقال عن رجل من غيرهم  
 انه عالم . بل هم لا يسمحون ان نمنح الطيب مثلاً اسم العالم ولو كان منهم

### اصول الفقه

من يسمع هذا الاسم ( اصول الفقه ) يخجل انه عبارة عن قواعد  
 كلية منقحة محكمة تنفرع عليها الحوادث والنوازل ويستند اليها في

الفتاوى والاقضية كالتقواعد التي أخذوها في أول المجلة عن كتاب  
الاشباه والنظائر

كلا ولكنه عبارة عن اصطلاحات وطرائق للاخذ من القرآن  
والحديث والاجماع والقياس وهي المأخذ عندهم .

اما القياس فليس لنا من ردّ عليهم في جعله ركناً من اركان  
التفريع وليست حجج الذين انكروه بصحيحة بل الحجة للذين اثبتوه  
وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل الى اليمن فقال له  
بم تقضي يا معاذ فقال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال  
فان لم تجد قال اجتهد رأيي فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي  
وفق رسول رسوله لما يرضى به رسوله .

وانت خبير ان معاذ حين بعث هذه البعثة لم يكن القرآن تم  
نزولا ولم يكن معاذ يحفظ كل ما نزل منه لذلك العهد ولا كل ما عرف  
من أقوال النبي واحواله . فاحفظ هذا فسيأتي الاستشهاد به في الكلام  
على الاجتهاد

واما الاجماع فالغالب انه لم يقع ولذلك لاجدوى من تقريره  
أو جعله مأخذاً وبرهاني ان الذين يعتد باجماعهم كانوا بعيد وفاة النبي  
صلى الله عليه وسلم متفرقين في البلاد فمضى رؤى انهم سئلوا عن المسائل  
التي يزعم الناس فيها الاجماع فاجابوا بما وافق كلام الجمهور . أما خلافة  
أبي بكر رضي الله عنه فلا يصلح مثالا لما نحن فيه لانها حادثة منقضية  
في وقتها وليست مما يترتب عليها حكم . وأما اجماع من بعدهم من

التابعين وتابعي التابعين فهيات هيات ذلك احزن سيلا وأبعد منا  
 من اجماع من قبلهم وأنبأه اصعب من أنبات رمضان الذي يمهدون  
 من اجله في المحاكم الشرعية دعوى ويلفقون تصويرها . ومن زاول  
 التاريخ وأخبار الامة يؤمن بالذي قلته ولا يجحده الامن أوقفهم  
 التقليد في موقف واحد فهم عنه لا يبرحون .

ولكن قالوا نحن انما نخصه باجماع المجتهدين فنحن سائلوهم متى  
 احطتم خبراً بكل مجتهد ووقفتم على مذاهب الجميع وهل اكتفاؤكم  
 باتفاق ثلاثة أو اربعة أو خمسة بقوم حجة في أنبات تلك الدعوى  
 العظيمة

وزعمتم ان سكوت البعض يعد اقراراً لقد شبهتم الرجال بالبنات  
 الذين حكمتهم عليهن بذلك أفلا يجوز السكوت يا أيها الناس لاسباب  
 واسرار . ألم تروا ان عمر شاور الصحابة في مال فضل عنده فاشار  
 البعض بامساكه الى وقت الحاجة وعلي ساكت حتى سأله عمر فقال  
 أرى ان يقسم بين المسلمين وروى في ذلك حديثاً فعمل به . أفترى  
 لو لم يسأل عمر علياً واستمر علي ساكتاً هل كان مقاوم ذلك اجماعاً  
 أم ترون ان علياً لا يجوز له السكوت وان كان هنالك أسباب تجوز  
 سكوته ولو مؤقتاً . ولقد شاورهم مرة في اسقاط الخين وقد كان  
 هو ضرب امرأة لجنابة فاشاروا بان لا يصرم عليه وقالوا انك مؤدب وما  
 أردت الا الخير وعلي ساكت فلما سأله قال أرى عليك الغرة . وقد  
 قيل لابن عباس ما منعك أن تخبر عمر بقولك في العول فقال درته

وأنا لأصدق هذه الرواية تنزيهاً لهما معاً ولكن لا أكذب الحس  
 والعقل والنقل بأن الناس قد يسكتون عما يعلمون لاعذار لهم .  
 ثم يا عجيباً للذين خصوا الاجماع باجماع عترة الرسول او باجماع  
 اهل المدينة . على ان بعضهم لم يجعل الاجماع من اصله حجة .  
 وقد تبعت كثيراً من المسائل التي ادعى الاجماع فيها بعض  
 المؤلفين وصدق به الناس لعظم شهرتهم وحسن الظن بكثرة اطلاعهم  
 فلم أر مسألة مما ادعوا فيها الاجماع متفقاً عليها كما ظنوا . وهكذا  
 رأيت العلامة شيخ الاسلام في عصره تقي الدين بن تيمية سبقني الى  
 هذا القول حيث رأيت في كتابه «رفع الملام» بعد تحرير هذا ما نصه :  
 «والاجماع المدعى في الغالب انما هو عدم المعرفة بالمخالف وقد  
 وجدنا من أعيان العلماء من صاروا الى القول باشياء متمسكهم فيها عدم  
 العلم بالمخالف مع ان ظاهر الادلة عندهم تقتضي خلاف ذلك .»  
 والمصيبة في هذا انهم قد ذهبوا الى تكفير من يخالف الاجماع  
 فقد يسمع هذه الفتوى بعض الحمقى ويسارع الى تكفير الناس الذين  
 يتفق معهم احياناً ان يخالفوا الاقوال التي يدعون فيها الاجماع .  
 فكان الكفر عندهم عبارة عن مخالفة هؤلاء الاشخاص الذين ليسوا  
 بمعصومين وان كان المخالف مؤمناً بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله  
 واليوم الآخر قلباً ولساناً ومتبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً  
 يا لله العجب !!!

وقد شدد الامام الغزالي رحمه الله على هؤلاء التكفير في كتابه

« فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » وعقد للرد عليهم فصلاً  
انقل هنا الشاهد منه قال لله دره :

« وأما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من أغمض الاشياء اذ شرطه  
ان يجتمع اهل الحل والعقد على صعيد واحد فيتفقون على امر  
واحد اتفاقاً بلفظ صريح ثم يستمرون عليه مدة عند قوم والى تمام  
انقراض العصر عند قوم او يكتبهم امام في اقطار الارض فيأخذ  
قتاوبهم في زمان واحد بحيث تنفق اقوالهم اتفاقاً صريحاً حتى يمتنع  
الرجوع عنه والخلاف بعده ثم النظر في ان من خالف بعده هل  
يكفر أم لا اذ من الناس من قال اذا جاز في ذلك الوقت ان يختلفوا  
فيحمل نوافقهم على الاتفاق ولا يمتنع ان يرجع واحد منهم بعد ذلك  
وهذا ايضاً غامض »

وقد ختم هذا الفصل النفيس بقوله قدس الله سره :  
فاذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه بخوض في التكفير  
والتضليل فاصرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي  
بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف  
بين الناس ولو سكت من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق »  
اعد نظراً في هذا الكلام السامي الذي يجب نقشه في لوح  
الذاكرة من غير ان يضيع منه حرف واقتد بهذا الامام الكبير اذا  
اشتهت اتباع عالم متقدم .

وأما السنة فلا كلام لنا على استنادهم اليها وانما الكلام على

تحكماتهم والسيطرة على الناس بطرائقهم مع ان السنة علم معروف  
كتبها مدونة وعلمهاؤها اعرف بها من الذين اطاهم الاقبال على نواذر  
الفروع فهي تؤخذ عنهم لا عن هؤلاء

هذا وان علم السنة اصعب العلوم مراساً . واعزها منالا . لما  
هو معلوم مشهور من تفرق الناس شيعاً . وسلوكهم قدماً . ولقد  
انت على الامة عصور عمتهم فيها البغضاء . وأعمتهم عندها الاهواء .  
وايد كل منهم مذهبه بالنقل . ودعا الى تحلته كل فاضل ونذل . يعلم  
هذا من ساير دقات القرون . واستمع الى مآثره الايام والسنون .  
وناهيك بصعوبة التمييز في هذا العلم انك لا تكاد تجد عالماً متقدماً  
ومتأخراً من كبار العلماء ومشاهير الثقات الا نقل من الاحاديث  
الغث والسمين وخفيت عليه الشمال من اليمين ويصعب على ايراد كل  
ما اعرفه من هذا القليل ولا يحتمله المقام . وهذا الامام الغزالي وهو  
حجة المسلمين في العلوم الالهية راه قد اكثر في كتابه الاحياء من  
احاديث انتقدتها عليه علماء هذا الشأن وهذا البيضاوي راه ختم كل  
سورة بفضائلها من ذلك الحديث الموضوع المشهور واقندى في هذا  
بن الحسن تفسيره عن تفسيره اعني الزمخشري بل هذا صحيح  
البيضاوي وهو عند العلماء من الخاصة والعامة فيه جماعة جرحهم  
بعض المتقدمين كعكرمة وامبا عيل بن ابي اوليس وعاصم بن علي وعمر  
ابن مرزوق وغيرهم . أما عكرمة فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنه  
لنافع لا تكذب علي كما كذب عكرمة علي ابن عباس . وقال احمد انه

يرى رأي الخوارج الصفرية . اما اسماعيل بن ابي اوليس فانه اقر  
 على نفسه بالوضع كما حكاه النسائي عن سلمة بن شعيب عنه . واما  
 عاصم بن علي فقال ابن معين هو لاشي وقال غيره كذاب . واما عمر  
 ابن مرزوق فنسبه ابو الوليد الطيالسي الى الكذب .

هذا مثال واحد فارجع الى كتب هذا العلم ترشانا عجيباً تجد من يعدله  
 هذا يجرحه ذلك حتى تكاد ان لا تجد سالماً من جرح ثم قبل ان يتم  
 اندهاشك من هذا نجد التعارض قائماً والتباين رائجاً . ثم تأنيك شبهات  
 النسخ وما شبهات النسخ كانوا لا يجمعون الحروف فتشبهه الباء مثلاً بالباء  
 والثاء والنون والياء . والحيم بالحاء والحاء . والذال بالذال . والراء  
 بالزاي والسين بالشين . والفاء بالقاف . وقد تشبه السين أو الشين بثلاث  
 سنات فتحتمل كلمة «يبين» ومثلاً «سن» وقد تطمس سنة فيكفي أن  
 تحتمل كلمة بستين ومنه آخر مثال قد مر بي الآن اذ كنت اطالع  
 فيل تحرير هذا وهو قول ابي برزة الاسلمي من كلام له « ان الله  
 يغنيكم بالاسلام ويحمد عليه السلام » فقد اشبهت ( يغنيكم ) على  
 الحديث حتى قال « أوامشكم » وجاءت في رواية راو آخر « انقذكم »  
 وما هي ببعبدة شكلا في النسخ لمن تأمل و الشواهد في هذا الباب  
 اكثر من أن نحصى ولعل ما قدمناه كاف في الاحتجاج على ان علم  
 السنة انما يؤخذ من مظانه وان الاصوليين ما تصدوا له كما يستحقه  
 فتفكر طويلاً .

وأما الكتاب المجيد فهو الحجة العظمى . والعروة الوثقى . والنور

الميين والحبيل المتين . وهو كما يعلم القارئون قد أنزل للتبيين ويسر  
للتذكير وانعم به للهداية . واكرمنا فيه للعناية .

كتاب عربي من عرف أساليب العرب بفقهم . ومن وقف على  
أقوال الرسول يتبحر فيه . لا يختص بفهمه أهل عصر ولا أهل مصر  
لانه خوطب به الذين آمنوا ممن صحب الرسول من بعدهم الى يومنا  
هذا والى أن يشاء الله .

هذا واني لا أرى مما كتبوه في هذا الباب مزية زائدة على  
ما يعرفه كل من عرف أساليب البيان والخطاب فما بالهم يوجبون على  
الناس أن يضاھوهم ويقلدوهم وما بال فريق منهم جعلوا لكتبهم من  
الاعتبار اكثر مما له اذ قالوا ان مفاهيم الكتب حجة عندنا دون  
مفهوم القرآن . فتأملوا وأبصروا !

### (علم الفروع)

ذلك علم الاصول وأما علم الفروع فهو مجموع مسائل تزايدت  
عددها بتداول الايام بعضها مستند الى الكتاب والسنة وكثير منها  
مستند الى الظن والتخمين والفرض والتقدير بعضها مما يجوز وقوعه  
وبعضها مما لا يقع وترى في كثيرها من التمحلات العجيبة . والتخيالات  
الغريبة . ومخالفة العقل والنقل ما تقف معه حاراً مندهش الذهن  
وتراهم احياناً لا يتحاشون من ذكر امور قبيح ذكرها .  
وقد رأيت من الواجب ان أصرح بشي من الامثلة لكي لا يظن  
بي ظان اني افترى عليهم واسند ما لم يقولوه اليهم ولا نظر ماذا يقولون



الذين غلوا في حسن الظن بمقول من تقدمهم ولو بنزر من السنين  
 ذلك الظن هو الذي عظم شأن تلك السيطرة التي قيدت الابواب .  
 واغلقت الابواب وقطعت الاسباب . وقام مقام سلطة الارباب . وفينا  
 اء وسامع والكل خانع وخاشع . وذلك مانهى عنه البارى . وحذر  
 من مثله الهادى .

انى رأيت فيهم من عد صاحب الذكر الصغير من جملة المستحقين  
 ان يقدموا للإمامة . وعلل ذلك بان كان ذكره أصغر تكون  
 هرايته في الاصل اكثر . ولست أدري كيف يفعل القوم حتى  
 يرفوا أعضاء بعضهم أبالاخبار وهذا لا يتيسر لواحد الا أن يكون قد  
 رأى غيره أم بالكشف وهم قد منعه . ولا أدري الى أي كتاب  
 آية سنة يستندون في هذه المسألة . وأي عالم من علماء التشريح  
 الاستقراء اثبت لهم تلك الفائدة . تأملوا وانظروا عقول الذين تزعمون  
 انهم يتكلمون تأخذون عنهم دينكم . .

ورأيت فيهم من ألحق ولداً جاءت به مغربية تزوجها بالمكائبة  
 مشرقياً وبينهما من المسافة اذا أراد أن يجيئ اليها ليجمعهما  
 كثير من مدة الحمل عادة . وعلل بعضهم ذلك بوقوع الكرامة  
 لاولياء .

ورأيت فيهم من أجاز تناكح البشر مع الجن ويلزمه أن لا يرى  
 آسأ اذا وجدنا حاملاً لازوج لها من البشر وقالت لنا انما حملت  
 من جنين .

ورأيت فيهم من فرض مسألة فقال اذا تترس الاعداء بنبي  
فكيف يكون العمل ثم اجاب عنها بقوله « قيل يسأل نبي ذلك  
الزمان في حين ان الايمان يجعل وجود نبي آخر مستحيلاً . وبنينا قد  
انتقل ولم يتترس به أحد ولا يرجع عصره وقد أراد بعضهم أن يصحح  
هذا الفرض والتقدير فقال ربما كان ذلك النبي عيسى عند نزوله وقد  
نسي ان الذين يكونون مع عيسى لا يفرضون اعداء

ورأيت منهم من حرم بنتاً مس الانسان أمها بيده . ومنهم من  
حلل بنتاً تولدت بالزنا من مائة . ومنهم من أجاز طلاق المكره وهو  
لا ذنب له وطلاق السكران وهو لا يعقل ما يقول . ومنهم من قال ينفذ  
القضاء بشهادة الزور ظاهراً وباطناً في العقود والفسوخ فتسلم المرأة  
لمن ادعاها ويحل له وطؤها وان كان هو الذي قدم البينة الزور .  
ومنهم من لا يوجب عزل القاضي اذا أخذ الرشوة ومنهم من جعل  
للجار الشفعة مع ان النبي جعلها فيما لم يقسم فقط ثم بعد ان انتهى  
حقاً علم الناس كيف يبطلون هذا الحق فقال ان اشترى داراً بخلاف  
أن يأخذها الجار بالشفعة فاشترى سهماً من مائة سهم ثم اشترى  
الباقى وكان للجار الشفعة في السهم الاول ولاشفعة له في باقي الدار .  
هذا وانا لم اذكر الاشارة من تنور فلو طفقت اسرد الامثلة  
لقال السامع حسبنا نعوذ بالله ونسأله الحفظ والولاية . والتبصرة  
والهداية . ولعل الكثير اذا أردنا أن نزيد لا يعني الذين لا يحسون .

## بذرة الاجتهاد

هذه الاشارة الدينية ولعل البحث من انفع المباحث في الاصلاح  
الديني فالقد علم الذين يقرأون بالحس ليس بهداه من برهان  
وبما ذكرناهم من الامثلة والشواهد ان هذا العلم الذي حقيقته نظام  
للإمامة قد شوهدت وجهه الايام وأوصلته اليها كبريائه للسامعين وانه  
لم يبق منه مع الزمان الا حروفه في الكتب وبقية الحكم الشرعية  
فسيقولون جميعاً اين اذن ذلك الشرع الحقيقي الذي هو عليه النبي  
واصحابه قتيبين هذا متوقف على اجتهاد وتببع صحيح الآثار  
واستعمال سليم الفهم .

وسيقول الذين يعرفون الحق بالرجال هؤلاء علماءنا من قبل  
وانا وجدنا آباءنا لهم متبعين . فمن هذا الذي يزعم انه عالم بالدين  
ويجتري على رد كلام للمتقدمين . فما نحن بتاركي علمائنا لعلمه بل  
نحن بعلمه جاحدون .

قل هذا دين الله خاطب به المؤمنين . وكلف به العاقلين . فمن  
ذا الذي يحصر فهمه بالمتقدمين . ثم يحصره في الاربعة المشهورين .  
سيقولون هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا في الاولين .  
وانا لنحن المقلدون . ومالتنا من عقول كمقولهم بل هم الفائقون .  
ونحن المحرومون . وان قلنا كنا من السالمين . وان لم نتبع كنا  
من المتدعين الضالين .

قل اصنعوا بانفسكم ما تريدون . ونحن فاجتهدون . وما امامنا  
 الا الكتاب المبين . ثم سنة الراس الامين . ثم العقل ار اني هو  
 منة رب العالمين . الذي كنا مؤمنين . ومن اجله مكلفين .  
 يا ايها الناس ان الذي يرض القرآن قد يسره للذكر افانتم  
 تصدون ان يتذكر المتذكرون . ها انتم هؤلاء تقولون ان  
 ان تتبع الا المؤلفم وان نحن بمستمعين الا لاهل مذهبنا الكاملين  
 الذين هم بالحقوق روي  
 الم تر ان الدين انزله رب السموات . وعلمه الرسول عليه  
 افضل الملوات فهل اناكم من سلطان مبين في اتباع قوم ميينين .  
 تقولون لا يجهد الا الاولون . هل عندكم من سلطان بهذا  
 ان كنتم صادقين . ام تقولون لا بد للمجهتد ان يعرف كذا الف  
 حديث مع الكتاب المبين . قل نعم ولكن هل كان يعرف ذلك  
 المقدار المجتهدون من الصحابة والتابعين . وان معاذاً لقاضي اليمانيين  
 فهل عرف هذا المقدار يا ايها الشارطون . ام تقولون ان الاجتهاد  
 انقطع منذ قرون . فمن ذلكم الذي قطعه يا ايها المصدقون .  
 ما قطعه الا الحاكمون . وما اضل الناس الا المسيطرون . ما ضاع  
 الكتاب ولا ذهب السنة ولا خلق من غير عقل المتأخرون . ان  
 تتبعون الا الظن وما نهوى الانفس وان الظن لا يفتي عن الحق  
 شيئاً افلا تتذكرون وما اراهم الا معرضين يا اخلاي الا كرمين  
 فدعوهم حتى يغاب على الوهم اليقين وسوف يعلمون

لار  
 لامنا  
 والما  
 فهل  
 تبص

كبر  
 في

آقاو  
 خلا  
 كالا

الفلد

## التصوف والمتصوفة

« المقالة الثالثة »

من العلوم الدينية عند المسلمين علم يقال له « التصوف » ويقال  
لأربابه « الصوفية » أو « المتصوفة » أو يقال الأول لصادقهم والثاني  
للمتشبهين بهم . قال لي بعض الأصدقاء اني أرى أكثر المتقدمين  
والتأخرين خانعين لهذا العلم معظمين لمن عظمه مزدريين بمن ازدراه  
فهل عندك خبر بحقيقة هذا العلم وأهله فحررت هذه الرسالة  
تبصرة له ولتصفي اليها افئدة الذين يحبون الحقائق . وجعلتها مقالتين .

## ( المقالة الاولى : ما هو التصوف ؟ )

لقد كبر اشكالا تعيين معنى هذا اللفظ من جهة اللغة العربية كما  
كبر تعيينه من جهة الاصطلاح والا كبر منهما تعيين واضعه ومحدثه  
في الملة وتعيين زمن حدوثه واكبر الكبر تعيين قائلته .  
وقد احتبرنا هذا العلم بفروعه وشعبه كافة وسمعنا ورأينا فيه  
اقاويل لا تحصى اذا سردنا منها شيئاً فانه لا يجديك فنحن نذكر لك  
خلاصة ما رأينا في هذا العلم ثم نردفه لك بنقل واحد حتى لا تظن  
كلامنا رجماً بالغيب أما الاكثر من النقول فقد لا يجدي هنا .  
« التصوف » لفظ ينتحله اسماً لمعارفهم ناس خلطوا اذ بحثوا في  
الفلسفة الآلهية بين ايراد كلام الفلاسفة الآلهيين من القدماء وبين

الشواهد القرآنية وأمثالها من الكلام النبوية . واخترعوا اصطلاحات  
 صرفوا بها الالفاظ اللغوية عما وضعت له صرفاً لم يراعوا فيه العلاقة  
 القريبة والقرائن الدالة ولا تقدر أن نعين أول من كتب بهذه اللغة  
 على هذا النحو ولكننا نعلم انه بعد ان دونت فيه الكتب غلا فيها  
 أهله واضرقتوا في التأويل وصرف الالفاظ فعبثوا بالفلسفة  
 والدين معاً .

وكذلك يتحمله اسماً لعاداتهم وعباداتهم المخصوصة ناس آخرون  
 قد اقتبسوا شيئاً من كلام الذين سلف ذكرهم وشيئاً من كتب  
 السير والمناقب واخترعوا أشياء اخر واطلقوا هذا اللفظ على الملقق  
 من الكل وربما أحب هؤلاء أن يطلقوا على أنفسهم اسم «الفقراء»  
 ثم أبدلوا هذا الاسم باسم «دراویش» لغلبة المعجمة على القوم .  
 هذا ما رأيناه بشأن هذا العلم من بعد كثرة الاختبار فاسمع  
 مقاله غيرنا :

بعد ان ذكر السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ ستمائة واثنين  
 وثلاثين في الباب السادس من كتاب «عوارف المعارف» ( وهو من  
 اجمع ما كتب في هذا الشأن ) ان سبب تسميتهم بالصوفية لبسهم  
 الصوف . أو لانهم لما آثروا من الانكسار كانوا كالخرقة الملقاة  
 والصوفية المرمية ( تأمل ) أو لانهم في الصف الاول بين يدي الله عز وجل  
 أو ان الاصل في اسمهم صفوى . أو نسبة الى الصفة . وبعد ان ذكر  
 لكل وجه من المذكورات شواهد قال مانصه :

«وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية لان  
 في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله (ص)  
 يسمون الرجل صحابياً لشرف صحبة رسول الله (ص) وكون الاشارة  
 اليها أولى من كل اشارة . وبعد انقراض عهد رسول الله (ص) من  
 أخذ عنهم العلم سمي تابعياً . ثم لما تقدم زمان الرسالة . ونأى عهد  
 النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي . واختلفت  
 الآراء . وتنوعت الانحاء . وتفرد كل ذي رأي برأيه . وكدر شرب  
 العلوم شوب الاهوية . وتزعزعت أبنية المتقين . واضطربت صنائع  
 الزاهدين . وغلبت الجهالات وكثف حجباها . وكثرت العادات  
 وتملكت أربابها . وتزخرفت الدنيا وكثر خطاها . تفرد طائفة باعمال  
 صالحة . وأحوال سنية . وصدق في العزيمة . وقوة في الدين .  
 وزهدوا في الدنيا ومحبتها . واغتنموا العزلة والوحدة . واتخذوا  
 لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى اسوة باهل الصفة  
 تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب . فآثم هم صالح الاعمال .  
 وتميأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم . وصار لهم بعد اللسان لسان . وبعد العر  
 فان صرفان . وبعد الايمان ايمان . كما قال حارثة اصبحت مؤمناً حقاً  
 حيث كوشف برتبة في الايمان غير ما يتعاهدها فحرروا لنفوسهم  
 اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها . وتعرب عن احوال يجدونها .  
 فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسماً مستمراً . وخبراً  
 مستقراً . في كل عصر وزمان . فظهر هذا الاسم وتسموا به . فالاسم

سمهم . والعلم بالله صفتهم . والعبادة حالتهم . والتقوى شعارهم .  
 وحقائق الحقيقة اسرارهم . سكان قباب الغيرة . قطان ديار الحيرة .  
 لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد . ولهبب شوقهم يتأجج  
 ويقول هل من مزيد .

هـ، هذا قد نقلت لك بالحرف الواحد عبارة هذا الرجل الذي  
 يعد من كبارهم او من كبار العالماء بهم . هذا الذي حشى كتابه  
 باخبارهم ودونه للتعريف بهم والتسليك على طرقهم وشرح فيه من  
 اصطلاحاتهم وتماماتهم على اختلافهم ما لم يشرح احد مثله اذ جمع  
 هو المفرق ورتب المبدد . وانت ترى انه قد اضطرب رأيه في سبب  
 تسميتهم ثم ترى انه قد عدل عن الكلام التحقيقي بهذا الباب الى  
 الخطابة وما يشبه الشعر

ولا يزداد تعجبي الا من قوله وقول غيره « اسوة باهل الصفة »  
 فياليهم عرفوا ان اهل الصفة لم يكونوا متعمدين خالهم وان اكثرهم  
 اشتغلوا فيما بعد بما ينفعهم وانه لم يكن تركهم للاسباب ديناً به يتدينون  
 بل لقلّة الاسباب وانغلاق ابواب المعاش وهم ما كانوا الا غرباء فقراء  
 الصفة موضع مقتطع من مسجد النبي مظل عليه كان الاوقاف  
 والاخلاق من الفقراء ياوون اليه . وكان ابو هريرة من اشهرهم  
 وقد روى البخاري عنه انه قال « لقد ادركت سبعين من اصحاب  
 الصفة ما منهم رجل عليه رداء . اما ازار واما كساء قد ربطوا في  
 اعناقهم فيها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته »



وقال أبو هريرة نشأت بيتاً وهاجرت مسكيناً ( اي فقيراً ) وكنت  
اجيراً لبسرة بنت غزوان خادماً لها فزوجنيها الله تعالى فالحمد لله الذي  
جعل الدين قواماً وجعل أنا هريرة اماماً ، قال « وكنت ارعى غنماً  
وكانت لي هرة صغيرة اللعب بها فكنوني بها » . وأبو هريرة هذا  
هو الذي روى عن النبي ( ص ) كما في البخاري انه قال لهم « لان  
يخطب احدكم حزمة على ظهره خير من ان يسأل احداً  
فيعطيه أو يمنعه » وهو الذي صار عاملاً لعمر بن الخطاب  
على البحرين بعد ان كان صريف أهل الصفة وهو الذي قال له عمر  
اني استخلفتك على البحرين وانت بلا نعلين ثم بلغني انك ابتعت  
افراساً بالف دينار فقال له كانت لنا افراس تناجحت وعطايا تلاحقت  
قال قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأدّه قال ليس  
لك ذلك قال بلى والله أوجع ظهرك ثم قام اليه بالدرّة فضربه حتى  
ادماه ثم قال ائت بها قال احتسبتها عند الله قال ذلك لو اخذتها من  
حلال واديتها طائعاً . أجبت من أقصى حجر البحرين يجبي الناس  
لك لا لله ولا للمسلمين . ما رجعت بك اميمة ( يعني أمه ) الا لرعية  
الحر .

هذا والمعروف من سيرة الصحابة أنهم كانوا محترفين لا منقطعين  
عن الأسباب ولا منتظرين ان يعمل لهم غيرهم قالت عائشة « كان  
أصحاب رسول الله ( ص ) عمال انفسهم » فما بال القوم اقتدوا باهل  
الصفة ولم يقتدوا من باقي الصحابة بملوكهم العادلين وقضاتهم الصالحين

وتجارهم المجتهدين وأغنيائهم الشاكرين . وقد روى عن النبي (ص) كما في البخاري انه قال « ما اكل احد طعاماً قط خيراً من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده . »

وما كانت اطالتي في هذا المقام الا لما اعلم من ان الغاية التي يرمي اليها المتصوفون انما هي البطالة والتعيش من مال الناس ولا يري رأيهم يكثر من الاستشهاد بحالة أهل الصفة . ومن بياننا هذا يظهر للاملا ان هذا الاحتجاج ليس الا ضرباً من السفطة والتمويه

دع الآن هذا وارجع الى قول السهروري في فصله ذلك « فظهر هذا الاسم » افلا تعجب من قوله هذا بدون توطئة لسبب هذا الظهور الا ما ذكره عن انتشار الفتن وتجنب هذه الطائفة في زواياهم . وهو سبب لظهورهم لا لظهور اسمهم كما ترى . وهذا يدل على انه لم يقدر ان يعين سبب التسمية كما لم تقدر نحن . ثم اذا لاح لك شيء في ذلك الكلام يبرد معه الصدر فاصبر نفسك معه . وان لم يلح لك شيء فاعلم ان المختبرات عمي علينا كثير من تاريخها وموه لنا كثير من زيوفها . فاصرب بنفسك عن موافق التقاليد . والتمس لك مخرجاً من مضائق التلفيق

هذا أقل ما يقال في التصوف وهو سيكفي العقلاء المتليبين والاغبياء لا يغنيهم هذا ولا غيره فسلام على أهل النهي .

## ﴿ المقالة الثانية : كيف نميز الصادقين من الكاذبين ؟ ﴾

من الناس من يقول حسبنا ما حررت فقد عرفنا الحقيقة .  
 ومنهم من يقول ان الذي حررته صحيح واكن لا تقدر ان تنكر  
 وجود الصادقين في النصوص فان تبين لنا الفرق بينهم وبين  
 المموهين الذين قد لا يظهر تمويههم يكن أعظم فائدة وأجل وقعاً .  
 يا هؤلاء اقرأوا شيئاً من تاريخ الامم عامة ثم تاريخ هذه الامة  
 المحمدية خاصة يظهر لكم ان كل أمة قام منها أفراد قليلون صادقون  
 بالتمسك على ما تعلموا في دينهم وتعظمهم العامة لتخليهم عن دنياهم  
 ثم قلدهم جماعات كثيرة في الزي والاصطلاح ابتغاء رضوان العامة  
 ورجاء ثوابهم لديهم وأقرب شاهد لديكم رهبان النصارى المتبتلون  
 في الصوامع ففهم الصادق في نسكه النظيف قلبه وفيهم المائت المحتمل  
 الملوث قلبه وكذلك رهبان مجوس الهند والصين ويظهر لكم ان  
 هذه الحال لا يخلو عنها زمن من الازمنة ولا أمة من الامم . وان  
 هذه الامة المحمدية طراً عليها ما طراً على غيرها من كل شيء  
 ويامن يريد الميزان ليعلم به الراجح من الشائل افرضني ونفسك  
 في نقطة السذاجة ثم انظر أمامك الى الخطوط المسلوكة المطروقة .  
 هذه التي أمامنا طرائق قدد . والغاية محجوبة بعيدة . ها أنت ذا  
 في هذه النقطة وأنا معك . والناس كل منهم سالك خطأ وأنت تريد  
 أيضاً خطأ . فهل أنت مصدقي اذا قلت لك هذا هو الطريق

الاقوم والمسلك الاقرب ؟ انك ان تصدقني فما انا براض بتصديقك  
 هذا لانه جزاف لم يكن لدليل ذكرته لك . اني لنظيرك في هذا  
 الموقف ونحن سواء في الحاجة الى المعرف والمرشد . وكل منا اذا  
 وجد المعرف يستهدى به . ثم هل نقنع ان نلتمس معرفاً ومرشداً  
 من هؤلاء الناس الذين سلك كل منهم طريقاً بهواه . أو اقتفى به  
 أمه وأباه ؟ اذن نحار في ترجيح جماعة على أخرى اذا لم يكن لنا  
 معرف آخر من غيرهم وكيف يليق بنا ان نصدق قوماً ونكذب  
 آخرين بدون سبب للتصديق والتكذيب ؟ تأمل ألم النظر ارجع  
 البصر !

يا رفيقي اني أرى كل أهل هذه الخطوط المطروقة متفقين على  
 ان النهج المستقيم هو الطريق الذي جاء وصفه في الكتاب الذي تؤمن  
 به . وما أجدهم اختلفوا في صحته ولكنهم اختلفوا بالفهم كاختلاف  
 نفوسهم في الاغراض والمذاهب . والرسول الذي جاء به أولى  
 الناس فهماً لما نزل عليه وأجدرهم تمسكاً به وسيرته بالاجمال معروفة  
 فلتكن سيرته هي الميزان لمن يدعون التنسك والتعب .

والمشهور من سيرته انه كان يكره الرهبانية وقد تزوج ببضعة عشر  
 امرأة وهؤلاء ابتدعوا الرهبانية وهي شعار الكثير منهم وكان يتخذ  
 الاسباب ولا يهملها قبل النبوة وبمدها فتاجر طلباً للرزق . وهاجر  
 من اذى العدو . وحازب الأوس والخزرج للانتصار بهم . وحارب  
 قريشاً للانتصار عليهم . والف قلوب الذين بذلوا له الوثام

وانتقم من أعدائه أشد انتقام . وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم في السلم  
والحروب كل ما يلزم من الاسباب . ولما هجم الاحزاب على مدينته أمر  
بحفرة الخندق حين اشار به عليه سلمان الفارسي وعمل فيه بنفسه . وقد  
ساق الحيوش وقاد الجموع تارة مدافعاً وتارة مهاجماً . وقد قسم الغنائم  
واخذ منها لنفسه واخذ من أموال الاغنياء فاعطى للفقراء . وكان في  
نفسه كريماً عادلاً عفيفاً يأكل ويلبس ما وجد ويأبى شعار المترفين . وفي  
اهله برأ رحيماً مشتغلاً معهم في الحاجات واللاوازم . وفي جماعته وصحابته  
سمحاً متواضعاً . معلماً ناصحاً . خطيباً مذكراً . وحاكماً حكماً .  
وفي مخالفيه ومعاهديه وفيأ ثابتاً . وفي مخالفيه ومناوئيه شجاعاً مهيباً .  
ومدبراً حازماً . وخصماً قهاراً لا يبي جده ولا يفل حده .

كل هذا وغيره كان من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم فهل  
للتصوفة على هذا النحو ام هم ميالون للبطالة نظيف القلب منهم ودنه  
قلنا ان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة بالاجماع والذي  
أشرنا اليه منها مشهور متواتر نقله المحدثون والمؤرخون فكل قول  
يستند اليه هؤلاء في مذاهبهم وطرائقهم مما يخالف سيرته فهو اما  
من مخترعاتهم كما اخترع غيرهم كل لتأييد مذهبهم واما يحرفونه في  
استنادهم عن مواضعه ويسئون تفسيره عمداً او خطأ . والاعمال  
أحسن المفسرات .

ولئامن البراهين على ان التصوفة لم يتقدوا بالنبى عليه الصلاة والسلام  
في مخترعاتهم ما لا يسمه مختصرنا هذا ولكن ثبت واحداً منها نقول:

نحن نعلم ان الانسان من حيث طبيعته في الوجود ليس الا  
 حيواناً يتغذى كما يتغذى ويتناسل كما يتناسل وانما يمتاز الانسان  
 بزيادة الادراك وميله للتكامل . واذا صرفنا النظر عن ميله هذا  
 كما هو موجود في الاكثرين نجد بين اخلاق الافراد وبين اخلاق  
 الحيوانات تشابهاً كالحرص والنهمة وغلبة الشهوة والشهوة والقناعة  
 والعدوان والحسنة والندالة والآنفة والجراءة والخوف وغير ذلك  
 من الخصال . ونرى الافراد متباينين ومتفاوتين فيها فمن هنا نعلم ان  
 بعض اخلاق الافراد مشابهة لنوع من انواع الحيوان ثم يتفاوتون  
 في تلك الاخلاق ضعفاً وقوة كتفاوت افراد ذلك النوع . ونعلم يقيناً  
 ان سنة التكامل تقضي ان يكون لجامع الخصال كل الأنواع اكمل ممن  
 اقتصر على البعض لان كثرة المزايا اقرب للكمال من نقصها . وللفرار  
 من الخصال المتناقضة الموجودة في ضرائح الحيوانات المتغيرة لزم  
 للانسان قانون الاعتدال . وهذا يتيسر متى كان العقل هو الحاكم  
 الغالب . وهذا ما يسمى بالفضيلة والكمال وهو نسبي . واذا طالعنا  
 سيرة كل الكمل نجدهم جامعين لكل الخصال مع الاعتدال . اذ قد  
 جربنا ورأينا ان الواقفين مع الخصال القليلة لا بد ان تغلبهم سنن  
 الوجود فينقلبوا الى اضدادها . وحسبنا في موضوعنا هذا ان نتخذ  
 مثلاً سيرة اكمل الكاملين الذي هو نبي هذه الامة  
 فاذا ترأى لنا من سيرته انه كان متوكلاً فلا ينبغي ان نقف عند  
 هذه الخصلة وننسى انه اتخذ الاسباب كما بينا آنفاً . واذا ترأى لنا

انه كان رؤفاً رحيماً فلا ينبغي ان ننسى انه كان غيوراً للحق شديد  
الاستقام من الباغين

واذا ترآى لنا انه كان يصلي كثيراً فلا ينبغي ان ننسى انه كان  
له شغل آخر بالعيال ولوازمهم والجماعة وتعليمهم وسوقهم للحروب  
واذا ترآى لنا انه كان متشفافاً للمأكل والملبس والمسكن فلا ينبغي لنا  
ان ننسى انه كان يراعي مقتضى الحال والزمان وانه كان يحب من  
الذبيحة ذراعها وهو اطيب اللحم ومن اللباس ابيضه وهو المناسب  
في الحجاز وكان يحب النساء ويحب من زوجاته اجملهن وهي عائشة  
رضي الله عنها . وكان يحب النظافة ويأمر بها ويحب الطيب وكان  
ينظف سنه . ويكحل عينه . ويرجل شعره . وكان يصوم ويفطر  
ويصلي وينام ولا ينبغي ان ننسى انه كان يستدين في حوائجه ويرهن  
في مقابلة الدين ولم يرو انه نهى اصحابه عن اطيب الطعام وطيب  
النكاح كيف وهو الذي نزل عليه « قل من حرم زينة الله التي  
اخرج لعباده والطيبات من الرزق »

في هذا القدر لمن ألقى السمع وأحضر العقل غنية وكفاية وهم  
يارفقتي ترجع الى هؤلاء المدعين ونسب خضاهم وننظر أي الحيوانات  
اشبهوا واي خضاهم اختاروا واستحبوا فوقفوا عندها وتلبسوا بها  
زى من هؤلاء فريقاً ادعوا الفئاعة وتركوا السمي لا تفهم  
وقعدوا ينتظرون من غيرهم فضلات ارزاقهم وفتات اخبارهم فان  
اعطوا شكروا وان حرموا صبروا هؤلاء الصادقون منهم وامالكاذبون

فان اعطوا اطباوا المزيد وان حرموا صاحوا وبغوا واعتدوا ومزقوا  
 الاعراض فهل لهؤلاء من شبه الا ذلك الحيوان الذي برصد الابواب  
 وينتظر العظام وهل للكاذبين من شبه الا العقور من ذلك الحيوان .  
 ونرى من هؤلاء فريقاً ادعوا حب السلامة فركنوا الي التوحش

وقنعوا بالبطالة والراحة فهل مثل هؤلاء الا اليوم

ونرى من هؤلاء فريقاً يهيمون في الارض لا يباليون بحال من  
 الاحوال فاي فضل في هذا ياترى للانسان واية مزية هذه حتى نسميها  
 تصوفاً وهل لهؤلاء من مثل الا سوام الانعام . بل ربما كانت  
 السوام اهدى سبيلاً . واعمل في وظائفها الطبيعية من هؤلاء الادميين  
 الانسانية غير هذا كله يارفيقي فان كان التصوف غير الانسانية  
 فما اكثر تصوف الحيوانات التي يشبهونها . قال بعضهم ما معناه :  
 « ان كان التصوف بلبس الصوف فالصوفي الحروف » .

واعني بالانسانية سر الكمال الذي زاد به الانسان على الحيوان  
 الانسانية تلك القوى التي اوتبها الانسان وقيل له ان الشكر على  
 هذه القوى اعمالها وكفرانها اهمالها . الانسانية تلك الاسرار  
 التي تجت جبهة في خصال كمل الرجال على قلوبهم . وان كان التصوف  
 هو السبيل الذي يوصل للانسانية . فليفلوا من ضربهم ويذروا من  
 غلواتهم وليأتوا الناس بما يفقه لفظه ويظهر معناه . ولا يعتدروا  
 بالاصطلاحات . ويتعلموا بالاذواق . ويتستروا بالباطنيات . ويوهوا  
 بالتبذل والانقطاع . فكلا قد سبرنا . وكلا قد حققنا . فليس الا



الايهام والابهام . والتدليس والتليس . وانا لا انكر على البعض سلامة  
 الضمير ولكن كم يعكر الصافي ما كان رتقا وكم يعدي الصحيح ما كان جرباً .  
 وهل كل سليم الضمير ينفعه ضميره في اختيار السبل وانتقاء المشارب .  
 ونحن قلنا من قبل ان كل امة قام منها افراد قليلون صادقون  
 في التنسك على ما تعنوه في دينهم ثم قلدهم جماعات كثيرة في الزي  
 والاصطلاح . وبيننا بعد ان اكثر الذين يتنسكون او يتصوفون في  
 هذه الامة قد اساء والتفسير عن الرسول اما عمداً او خطأ فنشأت  
 مذاهبهم وطرائقهم وتعددت مسالكهم بتنوع اغراضهم .

ولعل فريقاً من الذين يقدسون الازمنة بقدمها يلومونا على  
 هذا الكلام . اويرمونا بالهجر والبهتان . فترجوهم ان يتذكروا  
 ان العهد بالفتن والشرور البشرية قديم جداً . وان وجه الارض  
 ما تعاهر قط من ردائل التدليس وفضائح الاعمال في عصر من العصور .  
 حتى يكاد الذي يرى كثرة الشر وقلة الخير في كل عصر ان لا يجوز  
 حسن الظن ولا يلوم الذين يحذرون من التمويه والتدليس بل يقرع  
 الذين يتخذون هذا ديناً وقربات

هذا الكتاب السماوي ترى فيه ان آدم بعد ان اهبطته مخالفته  
 الى هذه الارض ورزق فيها نسلاً قتل احد ابيه الآخر فمن تعلم  
 القاتل ياترى ذلك الشر ؟ ونوح كثر افساد قومه وفي مقدمتهم ابنه  
 فدما عليهم جميعاً فكان طوفان . وابراهيم نهى قومه عن عبادة  
 الكواكب فزجوه في النار . ولوط نهاهم عن الفاحشة المعلومة فاذوه

ودمرهم الله وفيما بينهم زوجته . وموسى اعترض على ملك مصر  
 فطلبه ليقتله فهرب ومعه بنو اسرائيل ومالبثوا ان طفقوا بخالفونه .  
 وعيسى اراد اليهود به فتكأ وألصقوا بأمه العار افكأ . ورسول  
 هذه الامة رماه قومه بما رموه به من الصفات وآذوه بما آذوه من  
 الفعل حتى هاجر عنهم وأعاد الكرة عليهم .

وهذه الكتب الارضية كلها قائلة ان عثمان بن عفان وهو ختن  
 النبي في عهده . وثالث خلفائه من بعده . قتله ناس من اصحاب النبي  
 وأولاد اصحابه عمداً وتالبا لاصدفة وخطأ وعلي بن أبي طالب وهو  
 ابن عمه وختنه ورابع خلفائه حاربه اصحابه وفي مقدمتهم مرة زوجته  
 طائشة ومرة احد كتبة وحيه معاوية بن أبي سفيان . وحسيناً وهو  
 ابن بنته قتله المسلمون تلك القتلة المعلومه . وذريته من بعده اساء  
 اليهم اقاربهم العباسيون تلك الاساءات المشهورة . فمتى صالح الزمان ؟  
 هل صالح بعد مقتل عمر حين ابتدأت فرقة المسلمين ثم عظام امرها  
 حتى تباغضوا وتباعدوا . ثم نمازبوا ونحاربوا ثم تلاعنوا وتطاعنوا ثم تفرقوا  
 شيعاً في الدين . وزمرأ في المآخذ . ومذهب في العلم . ومناحي في العمل .  
 ثم تفرعت فرقتهم وربت حتى تجاهلوا وغم بينهم الامر واصبح كل حزب  
 بما عندهم فرحين وكل شعب على ما وجدوا آباءهم مقتدين .

نحن نقص شليك من آباء القدماء مايزداد به فقهاك بان الامر  
 الامر متسلسل في كثرة الشر وقلة الخير . هنالك تبقى دينا عاقلا  
 لاتززع قلبك اهواء الملقين ولا تامل مع كل من هبت ريحه بدعوى

التصوف والصالح وما أشبههما من الابواب الدينية التي يدخلون منها  
للمقاصد المعاشية ( فلقد قال المتبهون من قبل ان تغيير الشكل لاجل  
الاكل ) فاسمع يا ربك الله ممعناً . واحفظ راشداً مهدياً :

نقل الامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ في كتاب آداب العزلة ان  
طاووساً جلس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيث  
الائمة ونقل في هذا الموضع أيضاً ان عروة لما بنى قصره بالعقيق  
ولزمه قيل له لزمت القصر وترك مسجداً رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال « رأيت مساجدكم لاهية . وأسواقكم لاغية . والفاحشة في فجاجكم  
عالية . وفيها هنالك عما أنتم فيه عافية » ونقل في هذا الموضع أيضاً ان أبا  
الدرداء قال « كان الناس ورقاً لاشوك فيه فالتاس اليوم شوك لا ورق فيه »  
قال رحمه الله بعد نقل هذه « واذا كان هذا حكم زمانه وهو في  
آخر القرن الاول فلا ينبغي أن يشك في ان الاخير شر » .

وبعد فالك واتلك العصور انتقل بسمعك الى ما كتبه عن عصره نفسه  
وهو هو بالمعارف الدينية والناس على ما تعرف من طباعهم في تقديس القديم  
ينبتون لعصره من الفضل ما لا يثبتون منه ذرة لعصر كاشدة ما بين العصرين  
من البعد لهذا العهد فاسمع ما قاله في الاحياء في كتاب ذم الغرور :  
« الصنف الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمفترون منهم  
فرق كثيرة ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان الامن عصمه الله  
تعالى اغتروا بالزبي والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية  
في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم

وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والظهارة والصلاة والجلوس  
على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الحيب كالمفكر وفي  
تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من  
الشمال والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم  
ايضاً صوفية ولم يتمبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة  
القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك  
من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا  
انفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم  
شيئاً منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين  
ويتنافسون في الرغبة والفلس والحبة ويتحاسدون على النقب والقطمير  
ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من اغراضه وهؤلاء  
غروورهم ظاهر . انتهى بالحرف . وقد ضرب لهم مثلا امرأة عجوزاً  
تشبهت بالشجعمان في الزي والحركات فلما انفذت الى ديوان العرض  
ظهر انها عجوز ضعيفة فجوزت لانها استخفت بالملك . ثم عد رحمه  
الله باقي الفرق المغترين من المتصوفة فذكر تسع فرق أخرى كنت  
أود أن انقلها هنا بالحرف لولا ما أخشاه من الاطالة التي تجنبها .  
بيداني أشير اليها هنا اشارة مختصرة فالفرقة الثانية من شق عليهم  
الاقداء بالصوفية في بذادة الثياب فطلبوا المرقعات النفيسة والقوطة  
الرقية والسجادات المصبغة ولبس أحدهم من الثياب ما هو أرفع  
قيمة من الحرير والابرسم ووطن أحدهم انه متصوف بمجرد لون

الثوب وكونه مرقماً . والفرقة الثالثة من ادعوا مشاهدة الحق  
 ومجاوزة المقامات وتلقفوا من الفاظ الطامات<sup>(١)</sup> كلمات فهم يزدرون بالعلم  
 وأهله ويلازمهم الحائك والفلاح أياماً فيصير كأنه يتكلم عن وحي  
 ويترك حيا كته وفلاحة والفرقة الرابعة من وقعوا في الإباحة وطووا  
 بساط الترع . والفرقة الخامسة من اجتنبوا الاعمال وأدعوا المقامات  
 من الزهد والتوكل . والفرقة السادسة من ضيقوا على أنفسهم في أمر  
 القوت وأهملوا تفقد القلب والجوارح . والسابعة من أدعوا حسن  
 الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية واتخذوا ذلك  
 شبكة للرياسة وجمع المال . والثامنة من اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب  
 الاخلاق وتعمقوا بالبحث والكلام عن عيوب النفس ولم يشتغلوا  
 بالعمل . والتاسعة من أعجبهم أحوالهم فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها .  
 والعاشرة من كادوا أن يصلوا قفاها . قال رحمه الله بعد ان أنهاها  
 وأنواع الغرور في السلوك لا تحصى .

قد يكفيك هذا في بابي ولكني أحب أن ازيدك هنا فتنبه لما  
 قدمنا ولا تفهم من قول هذا الامام « وهم متصوفة اهل الزمان » أن  
 الذي قبله لم يكن في متصوفة على هذا النحو . او أن المتصوفة الذين  
 وصفهم قد سما الزمان آثارهم من بعده . كلا بل ساعدها ورباها  
 حتى أثبت في كل سنبلة سبع سنابل . وفي القرن الثامن قام

(١) الطامات في هذا الباب يعبر بها الغزالي عن اصطلاحات الصوفية  
 الباطنية انظر الجلد الاول من الأحياء . بل انظر اللاحقة هنا

الشهير بابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ وكشف النقاب عن اذليل عصره في  
 كتاب سماه «المدخل» وقد احييت أن انقل منه شيئاً هنا لتطمئن به القلوب:  
 قال في اواخر الجزء الثاني بعد ان ذكر المتشبهين بانساج « واما  
 غيرهم فقد خرقوا السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن  
 يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل  
 ما يفعله بعضهم من أنه يظهر للناس الزهد في الدنيا وترك المبالاة بها  
 حتى انه ليجلس مكشوف العورة . ومنهم من يدخل النار على زعمه  
 ولا يحترق بمراى من الناس وذلك لو كان صحيحاً لكان بدعة ومنكراً  
 اذ ان من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة  
 عكس ذلك . فاذا اظهارها خرجت من باب الكرامة . اللهم الا أن  
 تقع ضرورة شرعية لاظهارها . قال : مع أن لدخول النار ادوية  
 تستعمل حتى لا تعدو على من دخلها ممن استعمل تلك الادوية .  
 ومنهم من يظهر الكرامة بامساك التعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه  
 من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بما لا حقيقة له اذ ان  
 مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم . ومنهم قوم تنزهوا عن  
 هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقومون في اشياء رذلة نهي  
 صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه وهي عندهم كأنها من شعار  
 الولاية فمن ذلك اتخاذ بعضهم الاعلام الى ان قال يجتمعون رجلاً  
 وشباناً فاذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهراً يرفعون بذلك  
 أصواتهم ولا يقصدون به الذكر بل الاعلام فقط لاهل تلك البلدة

ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم  
 فاذا - معواذ كرم خرجوا اليهم رجالا ونساء وشباناً واختلطوا بهم قال ثم مع  
 هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالاً وشباناً .  
 ثم قال رحمه الله : ومنهم من يبالغ في أخذ العهد الى حد لا  
 شك في تحريمه فيقول ان المأخوذ عليه العهد لم يبق له تصرف في  
 ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد  
 أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك وهم مع هذه  
 الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شيء من ذلك لكان  
 سبباً للقطيعة والترك

ومنهم من يأخذ العهد على أن ينتمي لفلان من المشايخ دون  
 غيره حتى كأن عدد الطرق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون  
 اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك  
 فالطريق المحمدي أين هو ؟ وحصل بينهم بسبب ما تقدم تعصبات  
 وشناخ كثير حتى صاروا احزاباً ووقع بعضهم في حق غير شيخه  
 الذي ينتمي اليه . والطريق المحمدي غير هذا كله وطريق القوم  
 واحدة وهو الاتباع وترك الابتداع .

ومنهم من يكلف المأخوذ عليه العهد بان يعترف بين يديه بكل  
 ما فعله من الذنوب وفيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف انتهى ملخصاً .  
 لا تحرك باللام لسانك على اختيارنا نقل كل هذه الجمل فقد  
 كفانا هذان العاملان الفائقان في علماء الملة ملامة اللامئين لنا على

تصريحنا بالانتقاد على هذه الاعمال الضارة بالاخلاق معاشاً ومعاداً  
 وصرحاً هما ان هذه الامور مما يفعلها أهل الغرور أو التفرير . وان  
 الاقبح منها اعتقاد الناس انها من لباب الدين . وما ذكرناه كله  
 مشاهد للناس اليوم بل حدثت امور أخرى غنية بشهرتها عن  
 تفصيلها . وسأخصها بكتاب مبين .

ولعل الذين قرأوا ما حررناه بامعان قد لاح لهم الميزان .  
 وعرفوا كيف يقام الوزن . وكيف يظهر الفرق . والوصية الجامعة  
 التي اختم بها المقال . واودع فيها المجال . هي ان لا يغتر بكل من  
 ادعى التصوف ونظاهم بالصالح لانه ان كان صادقاً فلنفسه ولكن  
 الصدق يمنع من الدعوى والتحدي ولا يضر تكذيب مدعي الصلاح  
 والا كان صادقاً اذ قد كفانا القرآن وسيرة النبي ومن عمل صالحاً  
 فلنفسه ولكن تصديقه يضر اذا كان كاذباً . ومن الناس من يعجبك قوله  
 في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى  
 سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد

### (لاحقة)

الغزالي من اساطين هذا العلم وغيره من العلوم المنسوبة للدين فاعل  
 الذين يروننا مؤمنين بفضله يقولون ما بالك تنكر التصوف وامام  
 كبير كالغزالي يثبته وجوابي عن هذا على وجهين الاول على سبيل  
 الاحتجاج والمدافعة فنقول اولاً القاعدة المسلمة ان الحق لا يعرف  
 بالرجال . وثانياً الغزالي ما اثبتته الا ليهذب به اذ لم يجد سبيلاً في تعليمهم



احسن من هذا وقد فعل رحمه الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون .  
 أما انا وامثالي فيجدر بنا ان نجهر بالحقيقة التي لم نغن عنها المداراة  
 وهي ان علم التصوف علم ملفق من كلام فلاسفة الملل الاول وشيء  
 مماثل له من متن الدين . وان المتصوفين اكثرهم اما من الذين  
 استحبوا البطالة واخترعوا اساليب ليعيشوا بها بل ليفوزوا فيها  
 باطيب المطاعم والمناكح واما من الذين فسد مزاجهم فغيروا نعمة الله  
 التي آتاهم وعاكسوا سنن الوجود وأن السكالم الانساني ليس بالتكشف  
 والفرار من الخلق بل بالوقوف عند الحدود والعدل في الحقوق  
 والاحسان للمخلوق . والحقوق لها حدود ومعرفتها واجبة والعلوم  
 المتكفلة بها موجودة . هذا قوام الامر وملاك النصيحة .

والوجه الثاني على سبيل المجازاة فنقول للمعترض اذا اعترفت أنت بفضل  
 الغزالي كما اعترفت انا فالامر سهل اذا وافقناه في الاكثر وخالفناه في الاقل  
 وان لم تعترف فلم نفسك قبل لومي . نعم انا اوافق هذا الامام في الاكثر  
 واستشهد من كلامه فيما وافقه فيه . وليت الذين لا يجحدون بدأ عن  
 التصوف يرجعون الى كتابه الاحياء . وقد حسن الآن ان آتيك  
 بنبذة منه على شطح الصوفية . قال لله دره :

وأما الشطح فعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية  
 (أحدهما) الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصول  
 المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع  
 الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشاهدة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا

وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لاجل  
اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله « انا الحق » وبما  
حكى عن أبي يزيد البسطامي انه قال « سبحاني سبحاني » وهذا  
فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل  
الفلاحة فلاحتهم واطهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه  
الطبيع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال  
فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة  
مزخرفة ومهما انكر ذلك عليهم لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره  
العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس . وهذا الحديث  
لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق . فهذا ومثله مما قد استطار  
في البلاد شرره . وعظم في العوام ضرره . حتى من نطق بشيء  
منه فقتله أفضل في دين الله من أحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامي  
رحمه الله فلا يصلح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعلمه كان يحكيه  
عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول « اني  
أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني » فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك الا  
على سبيل الحكاية .

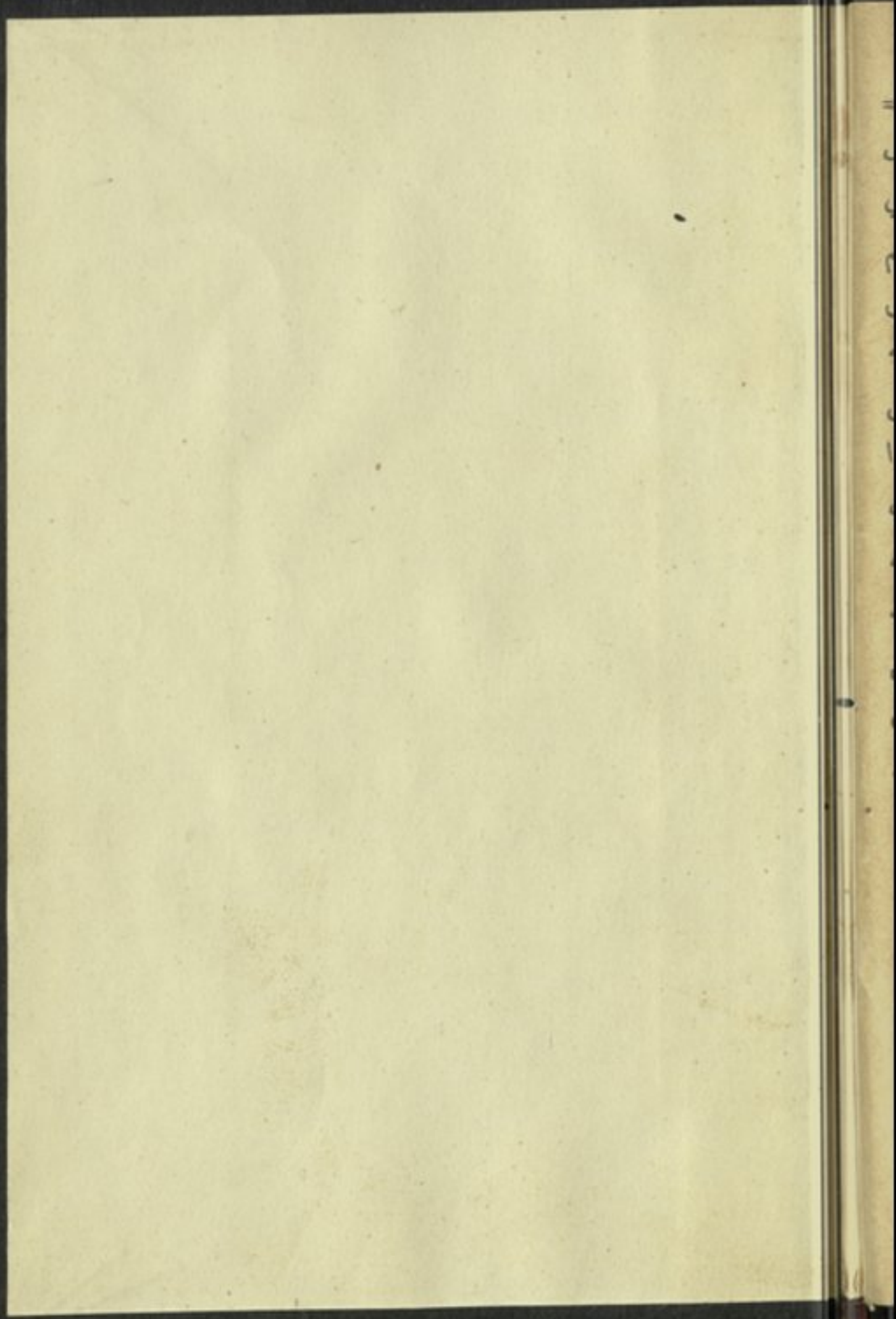
( الصنف الثاني ) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر  
رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن  
تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله  
وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر .

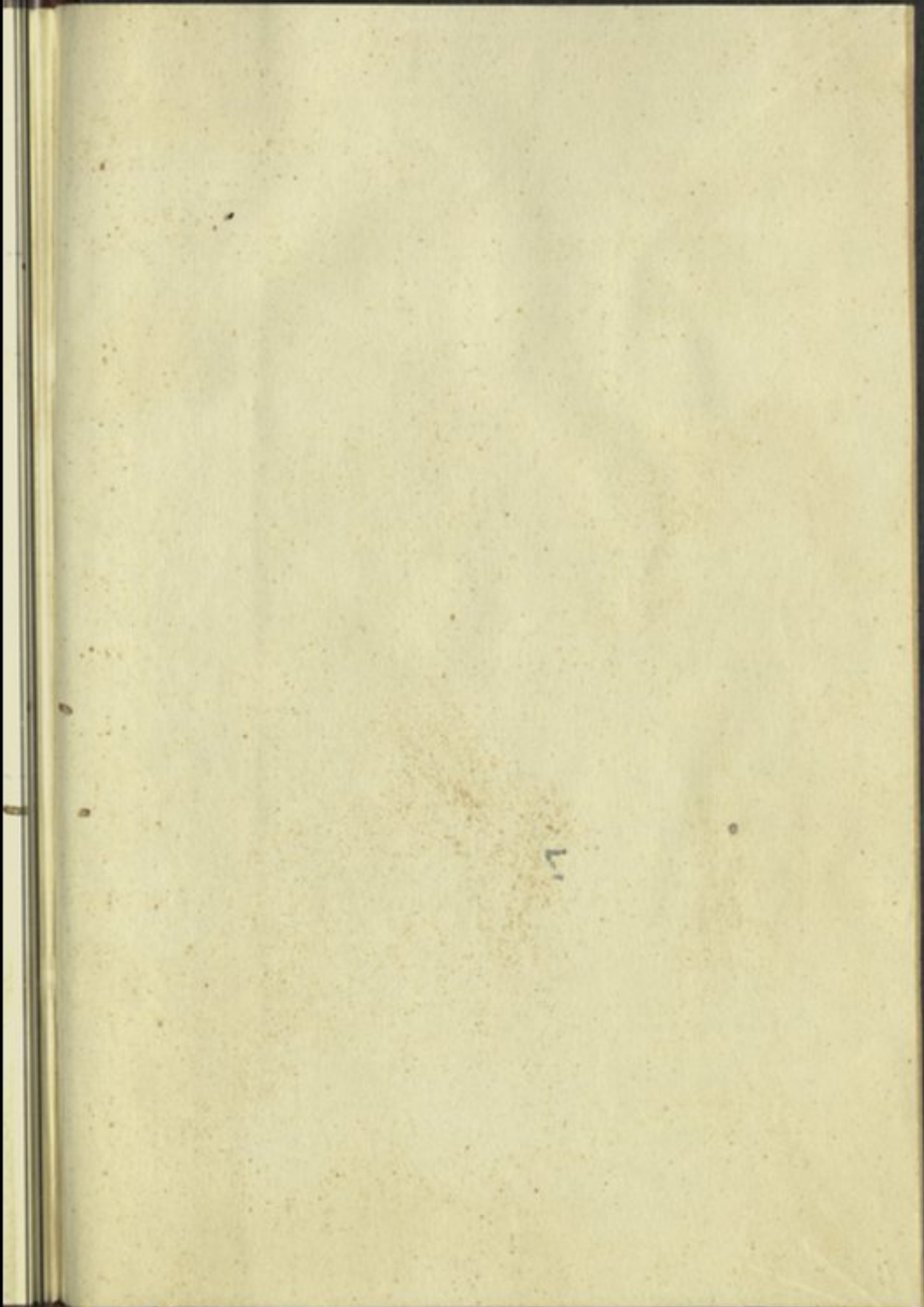
وأما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإرادتها  
 بعبارة تدل على ضميره لقلّة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير  
 عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه  
 يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على أن يفهم  
 منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه  
 وقد قال صلى الله عليه وسلم «ما حدث أحدكم قوماً يحدث لا يفقهون  
 إلا كان فتنة عليهم» وقال صلى الله عليه وسلم «كلوا الناس بما  
 يعرفون ودعوا ما ينكرون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله  
 وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه  
 قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره . (وأما  
 الطامات) فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو  
 صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق  
 منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التاويلات . فهذا أيضاً  
 حرام وضرره عظيم فإن الالفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها  
 بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة  
 تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقطت  
 به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق  
 منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر  
 ويمكن تزويله على وجوه شتى وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة  
 الضرر وإنما قصد أصحابها الاغراب لأن النفوس مائلة للغريب ومستلذة

له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل  
ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب المستظهر  
المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم  
في تأويل قوله تعالى « اذهب الى فرعون انه طغى » انه اشارة الى  
قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفي قوله  
تعالى « وأن الق عصاك » أي كل ما يتوكل عليه ويعتمده مما سوى  
الله عز وجل فينبغي أن يلقى . وفي قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا  
فان في السحور بركة أراد به الاستغفار في الاسحار . وأمثال ذلك  
حتى يحرفون القرآن من أوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره  
المنقول عن ابن عباس وغيره من العلماء . وبعض هذه التأويلات  
يعلم بطلانها قطعاً كتزويل فرعون على القلب فان فرعون شخص  
محسوس نوار الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له وكأبي جهل وأبي  
طرب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم  
يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه وكذلك حمل السحور  
على الاستغفار فانه كان ( ص ) يتناول الطعام ويقول تسحروا فهذه  
أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها قطعاً . وبعضها يعلم بغالب الظن  
وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة  
وافساد للدين على الخلق .

انتهى ما أردت ايراده من كلامه وبه انتهى ما أردت تحريرها في

هذه الرسالة





17

CA: 349.297:Z19fA:c.1

الزهرأوى ، عبد الحميد

الفقه والتصوف وهى ثلاث رسائل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01026512

American University of Beirut



CA

349.297

Z19fA

General Library

CA  
349.297  
Z19FA  
C.1